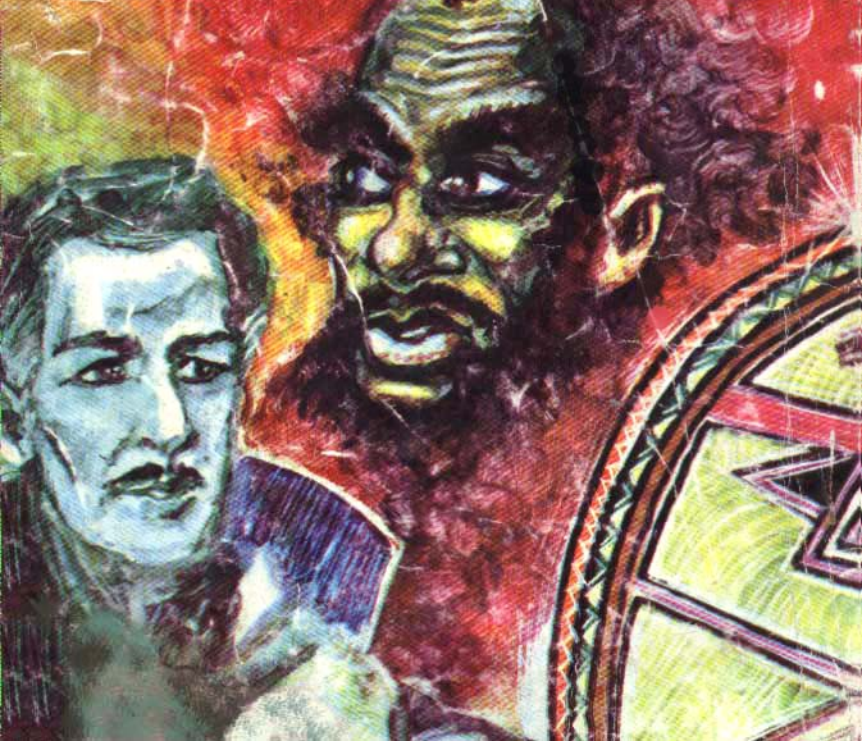


فلسفة
ثقافية
عربية

فكر القبيلة الصخرية



e1tawee1



الطائرة المفقودة !



العقيد «ممدوح»

كان الوقت صيفاً ،
عندما سافر والد
المغامرين الثلاثة إلى
الخارج للاشتراك في
مؤتمر علمي . وقد
انتهزت والدتهم هذه
الفرصة ، وصحبتة
لإجراء بعض الفحوص

الطبية . ولذا كانت غيبتهما ستطول إلى شهر ، وربما شهرين .
أما المغامرون فكانوا في بدء العطلة الصيفية ، يجلسون مع
الصديق الوفى «سمارة» ، يتحدثون عن إجازتهم الطويلة ،
التي سيقضونها في كابينتهم الجميلة بشاطئ المعمورة بمدينة
الإسكندرية .

وكان صديقهم الأمير «خالد» ، وزميل «عامر» في

الدراسة ، وحارسه « نمرود » العملاق ، يجلسان معهم .
وقد عرفنا الأمير « خالد » وحارسه « نمرود » من قبل .
فهما اللذان شاركاهم مغامرتهما الغامضة في « قصر الباشا » !
وكان « خالد » يقضى أسبوعه الأخير معهم في القاهرة ،
بعد أن انتهى العام الدراسي .

وهو يستعد الآن للعودة إلى وطنه المملكة العربية
السعودية . ليقضى إجازته بين أهله وعشيرته . . .
كانوا يستعيدون ذكريات الصيف الماضي ، وما صادفوه
من أحداث غريبة .

وبينا هم في حديثهم الشيق المثير . إذا بخالهم العقيد
« ممدوح » يفاجئهم بالزيارة . . .
قابلوه كالعادة بالفرح والتهليل والترحاب . وكان أكثرهم
ترحيباً به هو الأمير « خالد » .

فقد كانت هناك علاقة وثيقة بين العقيد « ممدوح » ،
وعائلة « خالد » . فهو ضابط المحابر المكلف بحراسة والد
« خالد » ، الأمير « سلطان » ، أثناء زيارته المتكررة التي

يقوم بها للقاهرة ، لإنجاز بعض المهام الدقيقة التي تتعلق
بالدولتين ! . . ومن وقتها نشأت بين الاثنين أواصر متينة من
الصداقة والمحبة . . .

وما إن رأى « ممدوح » الأمير « خالد » حتى بادره :
أمازلت في القاهرة يا « خالد » حتى الآن ؟ متى ستعود إلى
السعودية ؟

خالد : بعد أسبوع على الأكثر . . .

عامر : هذه زيارة غير متوقعة يا خالي ! . . هل من
جديد ؟

عالية : لقد عودتنا على هذه المفاجآت . . حتى
أصبحت عندنا شيئاً عادياً !

فضحك « ممدوح » ، وقال : هذا ما تقتضيه دائماً طبيعة
عملي . . المفاجآت ! . .

عارف : هذا صحيح . . فخالنا اليوم هنا . . وباكراً في
الهند . . وبعد باكراً في أواسط أفريقيا ! . .

صمت العقيد « ممدوح » ، وظهرت على وجهه

ما يمكنكم أن تقدموه لي في هذه الرحلة! .. هذا
مستحيل! ..

عامر: ليس هناك مستحيل! .. ألم تقدم لك المستحيل
من قبل في مغامرتنا بالبحر الأحمر؟ وفي الهند على مياه نهر
«الجمنة» المقدس؟ وفي الجزيرة الملعونة؟ .. وفي جبل
«عناق»؟ .. وفي بحيرة قارون؟ .. وفي ..

فقطعه «ممدوح» قائلاً: ولكن الأمر يختلف هذه
المرّة! .. فسوف أطير غداً مع مجموعة من زملائي إلى
الخرطوم، ومنها إلى الغابات والأدغال الكثيفة على حدود
السودان.

عالية: ليتنا كنا معك؟ ..

سمارة: لتدلك كيف تصطاد نمرًا في الغابة، من فوق
«الماشان»! كما اصطدناه نحن في غابات «سملا»
بالهند! ..!

عالية: اصمت يا «سمارة»! ليس هذا وقت
لمزاح! ..

علامات الجدبة فجأة، وقال: لقد توقعت صدقاً
يا «عارف»! ..!

عارف: ماذا تعني؟

عالية: يالها من مغامرة! .. هل سترتنا هذه المرّة حقاً
إلى أواسط أفريقيا! ..

تجهّم وجه «ممدوح»، وأجابها بلهجة تنم عن
التشاؤم: نعم! .. عدّأ في الفجر.. ولذا جئت أستودعكم
قبل الرحيل.. من يعلم ماذا يجتبه لي القدر في هذه
الرحلة! ..

عالية: لا تقل هذا يا خالي! .. ليست هذه أول أو آخر
مغامرة تكلف بها! .. ستعود إلينا سالمًا..

ممدوح: عندي شعور داخلي بأن أحداثاً رهيبية سوف
تقع لي.. فالمهمة خطيرة للغاية! ..

عالية: هل يمكننا أن نقدم لك أية مساعدة؟ ..
فعدت الابتسامة إلى وجه «ممدوح»، وقال: أشكرك
يا «عالية» على روحك الطيبة! .. ولكن المساعدة هي آخر

الفيل . . وجلود الفهود والنمور والتماسيح والثعابين . . وریش
النعام . . وغير ذلك !

خالد : وهو أيضاً على إمام ببعض اللهجات التي
تتحدث بها القبائل التي تقطن هذه المنطقة ! اكتسبها من
كثرة تردده عليهم !

عالية : ليتك ترافق خالي يا « نمرود » لتحرسه كما تحرس
الأمير « خالد » ! . .

سمارة : وترجم مايقوله إلى رجال القبائل ! ! . .
ممدوح : هذا مستحيل ! . . فالمهمة سرية للغاية . . ثم
لا بد من موافقة الأمير « سلطان » على ذلك ! . . والآن حان
الوقت لأن أودعكم . . فإلى لقاء قريب . .

* * *

وبعد مرور ثلاثة أيام على وداع « ممدوح » ، نشرت
الصحف خبراً صغيراً مصدره الخرطوم ، انخلع له قلب
المغامرين !

كان الخبر بعنوان « فقد طائرة مصرية بالسودان » وكتب

خالد : نرجو لك النجاح والتوفيق من قلوبنا . .
وكان « نمرود » يستمع طول الوقت في صمت ، إلى أن
انتهى « ممدوح » من حديثه ، فقال فجأة : هذه المنطقة
النائية ، وإن كانت موحشة ، إلا أنها رائعة الجمال ! . .
فالطبيعة هناك خلابة . . بغاباتها العذراء . . وجبالها
الشاهقة ! !

فالتفت إليه « ممدوح » وهو يتعجب ، وقال : وكيف
عرفت ذلك يا « نمرود » ؟ هل شاهدتها ؟ . .
نمرود : نعم ! . . زرتها مراراً عديدة ! بل أقمت فيها
بعض الوقت ! . .

خالد : « نمرود » كان من أبرع طياري سلاحنا الجوي ،
إلى أن أصيب في حادث ، فأحيل إلى الاستيداع . وكان أن
ضمه والدى الأمير « سلطان » إلى حاشيته بعد ذلك .
ممدوح : وماذا كنت تفعل في هذه المنطقة ؟

نمرود : كنا ننقل المؤن والدخائر بالطائرات إلى رجال
القبائل هناك ! . . ونعود بها محملة بكميات كبيرة من سن

تحته : جاءنا من الخرطوم نبأ فقد طائرة مصرية كانت متجهة
إلى جهة غير معلومة ، يرجح أنها صوب الحدود الغربية .
أوربما على مقربة من الحدود الأوغندية ! . وقد اتصل قائد
الطائرة لاسلكياً بمطار الخرطوم ، وذكر أن عطلاً مفاجئاً
أصاب أجهزة الطائرة الدقيقة ، مما تعذر معه تحديد موقعه
بالضبط . وأنه يتأهب للهبوط الاضطراري ، إذا عثر على
مكان مناسب وسط الغابات الكثيفة ، وإلا اضطر إلى القفز
بالمظلات هو ومن معه . وعلى أثر انقطاع الاتصال بالطائرة ،
أرسل السلاح الجوي السوداني بعض الطائرات الاستكشافية
للبحث عن الطائرة المفقودة وركابها . ولكنها فشلت حتى
الآن في العثور على أى أثر لهم ! . . .

نهض « عامر » وفتح الراديو على إذاعة السودان . وكانت
تذيع وقتئذ نشرة الأخبار . فكان خبر فقد الطائرة المصرية
يحتل مكان الصدارة من هذه النشرة ! . . .

كان لهذا الخبر وقع الصاعقة على رؤوسهم . إنهم لم
يصدقوه أول الأمر عندما قرءوه في الجرائد . ولكن ها هي

ذى إذاعة الخرطوم تؤكد لهم . الآن فقط أصبح الشك
يقيناً ! ! ! . . .

انخرطت « عالية » فى بكاء مرير ، وعلا الحزن والأسى
وجه الجميع .

وبعد أن مضت عليهم فترة طويلة من الصمت ،
وذهبت عنهم آثار الصدمة الأولى ، فاق « عامر » إلى نفسه ،
ونطق قائلاً : ربما كانت طائرة أخرى غير طائرته ! . . . أنا
لا أصدق أننا فقدنا خالنا إلى الأبد ! . . .

عارف : يقتصر الخبر على أن الطائرة مفقودة ! . . . وأن
الطائرات الاستكشافية تجدد في البحث عنها . . . وإن لم تتمكن
من العثور عليها حتى الآن ! . . . ولا يعنى هذا إنها فقدت
نهائياً إلى الأبد !

سمارة : إذن هناك أمل . . . قد يكون العقيد « ممدوح »
مازال حياً يرزق . . .

عالية : وحتى إذا فرضنا أنه ما زال حياً . . . ترى ماذا
يفعل خالنا الحبيب وسط مجاهل الأدغال والأحراش

الرحلة الطويلة !



عامر

وحتى الساعة
السابعة من مساء اليوم
التالى ، كان المغامرون
فى انتظار وصول
« خالد » ، بقلق بالغ .
فهو لم يتصل بهم طوال
اليوم ! ..
فقالت « عالية »

والدموع تترقق فى عينيها : أما كان الأجدر به أن يطمئنتنا ولو
بكلمة واحدة ..

عامر : لا تقلقى يا « عالية » .. دعينا نأمل خيراً ..
عارف : إن شيئاً هاماً منعه من الاتصال بنا ! ..
سمارة : أوريا فشل فى إيجاد وسيلة لمساعدتنا ! ..
عالية : نحن لسنا فى حاجة إلى وسيلة ! .. نحن فى

الاستوائية ؟ سوف تفتسه الوحوش الضارية ! .. هذا إن لم
يقع فى أيدي القبائل المتوحشة ! !
عامر : وما يحزّ فى نفوسنا هو عجزنا عن تقديم يد
المساعدة إليه فى محنته الرهيبة ! ..
كان الأمير « خالد » يجلس بينهم مفكراً حزيناً مهموماً ،
لا ينبس بحرف واحد ! .. إنه يقاّر « ممدوح » ويحبّه حباً
المغامرين له . ولكنه كان فى الوقت نفسه ، يعمل فكره فى
شئ ورد على ذهنه فجأة ! ..

وأخيراً خرج « خالد » عن صمته وقال وهو يهيم
بالوقوف : ليس فى وسعكم أنتم أن تفعلوا شيئاً .. ولكن ربما
كان فى وسعى أنا .. سأحاول على كل حال ! ! ! ..
موعدنا هنا مساء غدٍ .. فإلى اللقاء ! ..

نظر إليه المغامرون فى دهشة وتطلع . لقد أحييت كلماته
بعض الأمل فيهم بعد يأس . وإن كانوا لا يتصورون ماذا
يمكن أن يقدمه « خالد » لنجدة خالهم .

حاجة إلى معجزة ! ..

وكان المغامرون يستمعون إلى إذاعة الخرطوم ، عندما أعلن المذيع النبأ التالي : عثرت الطائرات الاستكشافية على حطام الطائرة المصرية وسط الغابات قرب الحدود الأوغندية . وقد تمكنت إحدى هذه الطائرات من الهبوط على شريط ممهد بجوار قرية صغيرة تسكنها إحدى القبائل . وباستجواب زعيم القبيلة صرح بأنهم شاهدوا الطائرة من بعيد وهي تهوى إلى الأرض ، وأربع مظلات بيضاء مفتوحة تتساقط منها . في أماكن متفرقة من الغابة . وذكر الزعيم أنه أرسل بعض رجاله للبحث عنهم وسط الغابات الكثيفة . وسنوفى المستمعين في نشرتنا الصباحية بنتيجة البحث عن هؤلاء الركاب الأربعة ..

وماكاد المذيع يختم هذه النشرة ، حتى طغت على المغامرين موجة من الفرح والسعادة الغامرة ..
فصاح « عامر » وهو لا يتألك شعوره : .. خالنا حتى يرزق ! .. خالنا حتى يرزق ! ..

عالية : حتى يرزق وسط الوحوش الكواسر ! ولكن إلى متى ؟ !

سمارة : ومن يدري ؟ ربما كان الآن معلقاً بمظلته فوق شجرة .

عالية : بعيداً عن الخطر تؤنس القروذ والنسانيس وحدته ! !

عارف : المهم أنه حي ! .. وطالما هناك حياة .. هناك أمل ..

عالية : آه لو نعرف فقط أين « خالد » الآن ؟ وماذا يفعل ؟ لقد طال غيابه ! ..

وفي هذه اللحظة ، هلّ عليهم « خالد » بطلعته السمراء ، والبشر يعلو وجهه . وكان « نمرود » يتبعه كالعادة ، وابتسامة مشرقة تبدو على شفثيه ..

نظر إليها المغامرون ، وهم يعتقدون أن سبب سعادتها هو أنها علما بنجاة « ممدوح » . فصاحت « عالية » : خالنا حتى يا « خالد » ! .. سمعنا الخير الآن من إذاعة

السودان ! ..

ففاجأهم « خالد » قائلاً : هذا خبر قديم أعرفه منذ الصباح ! .. أما الأخبار الجديدة فلم تصلكم بعد ! ! ..
عامر : كدت تلتف أعصابنا بغيبتك الطويلة ! أين كنت ؟

عالية : وهل فعلت لنا شيئاً ؟

جلس « خالد » وسطهم بهدوء ، وقال : فعلت الكثير ! .. ومن الآن يجب أن تجهّزوا أنفسكم لرحلة طويلة ..

عامر : رحلة طويلة ! ! .. وحياء خالنا « ممدوح » في خطر !

عارف : وقد تكنى دقيقة واحدة لإنقاذ حياته ! .. وأنت تتكلم عن رحلة طويلة ! ولكن يحسن بنا أن نستمع إليه أولاً .. هات ما عندك يا « خالد » بسرعة ..

خالد : عندما تركتكم بالأمس ، اتصلت تليفونياً بالوالدي في « جدّة » . ففوجئت بأنه يعرف الخبر . ولكنه لم

يكن يعلم أن العقيد « ممدوح » ضمن ركاب هذه الطائرة المنكوبة . ولما أخبرته بذلك ، انزعج انزعاجاً شديداً . وقال إنه على استعداد أن يفعل المستحيل في سبيل العثور عليه ! .. واقترح أن يرسل طائرته النفاثة الخاصة إلى القاهرة .. يقودها طياره « سلمان » .. وهو أقدر الطيارين وأبرعهم في السعودية ! ..

عامر : ومتى ستصل هذه الطائرة ؟ ! ..

خالد : لقد وصلت فعلاً .. وهي الآن في مطار القاهرة الدولي ، على أتم الاستعداد للإقلاع في أية لحظة ! .. في الصباح الباكر إذا أمكن ! .. وقال والدي إنه سيتصل بالحكومة السودانية لتقديم كل التسهيلات للطائرة .. ولركابها ! .. وهذا ما أخرني لأني كنت في استقبالها بالمطار ! ..

ثم صمت « خالد » قليلاً ، ونظر إليهم وهو يبتسم ، وقال : الوقت ضيق .. والرحلة طويلة حقاً .. ولكن الطائرة النفاثة ستقطعها في ساعات قليلة .. والآن .. هل

أنتم مستعدون؟ !!

بُهِت المغامرون لما سمعوه من «خالد»، ولم يصدّقوا
آذانهم! ماذا يقصد «خالد» بقوله هذا؟ ..

عامر: أتقصد أننا مستعدون للسفر في هذه الطائرة؟ ..
إلى السودان؟ للاشتراك في البحث عن «مدوح»؟ ! ..
خالد: نعم ...

يالها من مفاجأة لم تكن على البال .. يالها من
مغامرة! .. إنهم مستعدون طبعاً ليركبوا المخاطر والأهوال في
سبيل إنقاذ حياة «مدوح» .. وفي أية لحظة من ساعات
الليل والنهار! ..

فصاحت «عالية» وهي تبكي من الفرح: نحن
مستعدون! الآن!

خالد: حسناً .. سيّمّر عليكم «نمرود» بالسيارة الساعة
الرابعة صباحاً ليوصلكم إلى المطار .. وسأكون في انتظاركم
على باب الطائرة ..

لم تغفل عيون المغامرين لحظة واحدة حتى الساعة الرابعة
صباحاً، عندما وصل «نمرود» بالسيارة.

وكان أهم ما يشغل بالهم هو الدّادة «أم محمد»! كيف
سيخبرونها بهذه الرحلة الخطيرة المفاجئة! لاشك أنها ستصبح
وتولول، وقد يغمى عليها عند سماعها الخبر!!

فقال «عالية»: هل سنخبر «أم محمد» بأننا سنطير
إلى السودان!

عارف: هذا ليس من الحكمة! ربما لا تفيق من
الإغماء حتى رجوعنا!!

عالية: إذن بماذا سنفسّر لها سفرنا؟ ماذا سنقول لها؟ ..
سمارة: لا شيء! .. إنها تعتقد أننا ذاهبون إلى

المعمورة!! .. وعندما نعود بالعقيد «مدوح» سنقصّ
عليها مغامرتنا! .. وساعتها سيغمى عليها من الفرح! ..

انهمك المغامرون في تجهيز القليل مما سيحتاجون إليه في
مثل هذه المهمة الخطيرة. ولم يخرج ذلك عن القليل من
ملابس الرحلات الخفيفة، التي قد تلائم جوّ الغابات

الاستوائية ! .. أما الباقي فهو مجهز بالطائرة ..

وكان لا حديث لهم بطبيعة الحال إلا عن مغامرتهم
الرهيبه المقبلة ، حتى دقت الساعة الرابعة ، ولاح لهم الفجر
من النافذة .

كانت الطائرة النفاثة الصغيرة في انتظارهم على أرض
المطار ، توجهوا إليها في صحبة « نمرود » ، حيث وجدوا
الأمير « خالد » يقف بياها . فبادره « خالد » بقوله : أسرع
يا « نمرود » فالوقت ثمين ..

نظر إليه « عامر » في دهشة ، وقال : هل ستصحبنا
يا « نمرود » ؟ ..

نمرود : وهل يمكن أن أتحلى عن سمو الأمير في مثل هذه
الرحلة الخطيرة ؟ علاوة على أني سأساعد الطيار « سلمان » في
القيادة ..

سمارة : والقيام بالترجمة بيننا وبين رجال
القبائل ! ! ..

نمرود : هذا صحيح .. فأنا على دراية تامة بهذه
المناطق ! ..

دخلوا الطائرة ، ليجدوا الطيار « سلمان » في استقبالهم
بوجه باش . كان عملاقاً مثل « نمرود » بلحيته المدببة ..
وقوامه الطويل .. ومنكبيه العريضين .. ونظراته النفاذة ..

وما كادت « عالية » تراه ، حتى قالت : الويل لمن
سيتعرض لنا .. ومعنا هذين الماردين .. « نمرود »
و« سلمان » ! ..

يا لها من طائرة ! .. إنها تشبه حجرة فخمة ، بمقاعد
الوثيرة . ورياشها الثمين . إنها ليست ككل الطائرات التي
تعودوا ركوبها ! .. وتقدم منهم « خالد » ليشرح لهم كيف
يحولون هذه المقاعد الضخمة إلى أسرة مريحة ، بمجرد اللمس
على زر صغير ! ..

وعندئذ سمعوا صوت « سلمان » وهو يأتيهم عبر
« الميكروفون » : سنقلع في الحال .. والآن ادخلوا إلى
فراشكم .. فأمامنا آلاف الكيلومترات نقطعها حتى نصل

الجبل الأصفر !!



الطيار سلمان

حطت الطائرة على
أرض مطار «الخرطوم» ،
وكان المغامرون مازالوا
نياماً ، بعد سهر الليلة الماضية
الطويل . فلم يشأ «نمرود»
إيقاظهم ! ..

وباتصال «سلمان»

بسلطات المطار ، علم أنه تم

العثور على ثلاثة من الركاب الأربعة ، وكانوا يهيمون وسط
الأدغال الكثيفة . أما الراكب الرابع فلم يُعثَر له على أثر ،
ويعتبر الآن في حكم المفقود ! .. وكانت قائمة الركاب
الثلاثة الناجين ، لا تتضمن اسم العقيد «ممدوح» ! ! ..
وبعد أن تزودت الطائرة بالوقود ، وحصل «سلمان» على
الخرائط التفصيلية التي توضح مكان سقوط الطائرة ، وممر

إلى وجهتنا ..

وعندما سمعت «عالية» صوته ، قالت : هيا بنا إلى
النوم .. فنحن لم يغمض لنا جفن الليلة الماضية ..
فرد عليها «عامر» قائلاً : وأمامنا رحلة مثيرة .. ومغامرة
خطيرة ، نجهل نتائجها .. فيجب أن نكون على أهبة
الاستعداد ..





أقنع «سلمان» بالطائرة فوراً... وكان المغامرون مازالوا نياماً!

المهبوط الصغير وسط الغابات ، أقنع بالطائرة فوراً . وكان المغامرون مازالوا نياماً ! ..

وفجأة ، استيقظوا مذعورين على اهتزاز الطائرة العنيف ، وهي تحط بهم على الأرض الوعرة للممر الضيق الصغير . وما إن تابوا إلى رشدهم ، حتى كانت الطائرة قد هبطت سالمة على الأرض .

تقدم «سلمان» منهم ، وهو يتسم لهم مشجعاً ، وقال : انهضوا كفى نوماً ...

فسأله «عامر» وهو يفرك عينيه : ماذا حدث ؟ أين نحن

الآن ؟ .. ومتى سنصل ؟ ..

سلمان : لقد وصلنا ...

نظر المغامرون إلى الخارج من النوافذ الزجاجية المستديرة ، فإذا بهم أمام منظر عجيب ! .. لم يروا غير الأشجار الباسقة الكثيفة الاستوائية ، المتشابكة الفروع والأغصان ، وهي تكاد تلامس جناحي الطائرة على الجانبين ، في شبه جدار أخضر عالٍ ! ..

كيف هبط « سلمان » بطائرته في مثل هذا الحيز الضيق ؟ .. ! لاشك أنه طيار بارع قدير ! ..
فتح « سلمان » أمامهم خريطة كبيرة ، وأشار لهم على موقع فيها ، وقال : نحن الآن هنا . . . قرب الحدود الأوغندية ! ..

نمرود : قُرب المكان الذي سقطت فيه الطائرة ! ..
ولم يجد « نمرود » فائدة من أن يخبر المغامرین بالحقيقة ! .. لا جدوى من معرفتهم بأن خالهم يعتبر في حُكم المفقود ! .. فلن يصدّهم هذا الخبر عن محاولة البحث عنه ! .. ومن يعلم ؟ ربما أثمر بحثهم عن نتيجة ! ..
قال « عامر » وهو يتلفت حوله : نحن الآن في عالم آخر غير عالمنا في مصر ! هل تعرف هذه البقعة يا « نمرود » ؟
نمرود : أعرفها جيداً ! واتصلت ببعض قبائلها !

عارف : كيف هي هذه القبائل ؟
نمرود : هناك قبائل كثيرة . . . ولكنها منعزلة تماماً عن بعضها ! .. وتعيش على الصيد والقتل ! ..

عامر : ورجالها ؟

نمرود : مسالمون ! .. ولكن توجد بينها بعض القبائل البدائية . . . وهذه يجب البعد عنها . . . وتفاديها ! ..
همّ المغامرون بالخروج من الطائرة ، ولكن « نمرود » منعهم وقال : لا تتحركوا . . . سأستكشف المكان أولاً ! ..
خرج وهو يحمل بندقيته ، ولكنه لم يجد شيئاً يلفت النظر . . . وبعد قليل لحق به المغامرون ، فلم يروا غير الأشجار العالية ، وسلسلة من الجبال ترتفع في الأفق القريب ! .. إن كل شيء هنا يختلف عما تعودوا عليه . حتى الأزهار البرية الجميلة بألوانها الزاهية . . . والحشائش الطويلة . . . وحتى الشمس الاستوائية الحارقة . إنه بالنسبة إليهم عالم غريب ! ..

كانت الشمس على وشك الغروب ، فقال « نمرود » :
الليل هنا يحيمّ سريعاً ! .. ليس أمامنا ما نفعله اليوم . .
وسأحاول في الصباح أن أعرّ على بعض رجال القبائل لاستجوابهم . قد نستدل منهم على خيط رفيع قبل أن نبدأ

بحثنا عن العقيد «مدوح» ! ..

سلمان : سرقده هذه الليلة بجوار الطائرة على الحشائش ..
نمرود : ونوقده ناراً لإبعاد الحيوانات المفترسة !
وسأتناوب الحراسة مع « سلمان » حتى الفجر .
سمارة : هذا عين الصواب ! .. العقيد «مدوح»
اختفى هنا .. ولا نريد أن نلحق به !

وبعد أن أوقد « نمرود » كومة كبيرة من فروع الأشجار
اليابسة ، أخرج « سلمان » بعض البطاطين والوسائد من
الطائرة ، حيث رقد عليها المغامرون .
وكانت « عالية » تقول وهي ترهف أذنيها : أنا لن أنام
هذه الليلة ! .. ما هذا الصوت الذى أسمعه ؟
نمرود : هذا صوت القروود فى الغابة !

عالية : وهذا الصوت ؟

نمرود : هذه أصوات الطيور والبيغاوات وهى تنادى على
بعضها .. ستستمر هذه الأصوات حتى الصباح ! يجب أن

تتعودوا عليها من الآن فصاعداً ..

سلمان : لاخوف علينا طالما هذه النار مشتعلة ! والنوم
هنا أفضل من النوم داخل الطائرة .
وما لبث المغامرون أن راحوا فى سبات عميق . على حين
ظلّ « نمرود » و « سلمان » يتجاذبان أطراف الحديث . فقال
« نمرود » : ما كان لنا أن نصطحبهم معنا يا « سلمان » ! كيف
سنعثر على العقيد «مدوح» فى هذا البلد العجيب ! إننا كمن
يبحث عن إبرة فى الصحراء ! ..

فردّ عليه « سلمان » وهو يتثاءب : سنرى ما يأتى به الغد
القريب ! ..

ثم مالبت أن غطّ فى نومه ، بعد أن أصابه الإرهاق من
الرحلة الطويلة . فتركه « نمرود » ليستريح ، استعداداً لإيقاظه
لتولّى نوبة حراسته ..

استيقظ المغامرون فى الصباح ، وهم يشعرون بنشاط
عجيب ، بعد نوم الليل فى العراء .. تلفتوا حولهم فلم يجدوا

شجاع ، وتمرّس في هذه الغابات لا يُشَقَّ له غبار ! ..
مرّ اليوم عليهم طويلاً ، وكانت حرارة الشمس اللافتحة
تشتد كلما علت في كبد السماء . وما إن جاء الظهر ، حتى
كان المغامرون يلهثون من شدّة القیظ . وكان « سلمان »
يزودهم بشراب الليمون ، يأتي لهم به من الطائفة كلّما شعروا
بالظم الشديد .

لم يجدوا أمامهم ما يفعلونه غير النوم ، بعد أن طال
غياب « نمرود » . تُرى ما الذي يفعله في الغابة ؟ وما الذي
آخرّ عودته ؟ ..

أما « سلمان » فكانت عيناه لا تغفل عن الحراسة ، وهو
ممسك ببندقيته ، يستعد بها لمفاجآت الغابة ! إنه لم يكن قلقاً
على « نمرود » ، فهو يعلم أن عمود الدخان برغم أنه يبدو لهم
قريباً فهو في الحقيقة بعيد عنهم كل البعد ! ..

وفي المساء ، كان المغامرون يجلسون حول النار في انتظار
وصول « نمرود » ، وهم في حالة يرثى لها من القلق والخوف
على حياته . وما إن بدأ اليأس يحلّ بهم ، إذا بالغابة تنشقّ

« نمرود » . فقال لهم « سلمان » وكان يجهز لهم بعض الطعام :
« نمرود » دخل الغابة ! في محاولة للبحث عن قرية
قريبة ! ..

عارف : ومن أدراه بوجود قرية قريبة في هذه البقعة
الموحشة ! فأجاب « سلمان » وهو يشير بأصبعه بعيداً :
هذا ! ! رآه « نمرود » في الفجر ! ..

نظر المغامرون بعيداً ، فإذا بهم يشاهدون عموداً من
الدخان يتصاعد في الأفق .

فهلّل « خالد » وقال : هذه نار موقدة .. والنار تعني
وجود الناس حولها ..

عالية : لعلّه يأتي لنا ببعض المعلومات عن خالتنا ..
سمارة : نرجو ألا يقع « نمرود » وسط قبيلة من آكلي
لحوم البشر ! !

عالية : ليتنا ذهبنا معه .. مسكين « نمرود » ! إنه الآن
وحيد وسط هذه الغابة المخيفة ! ..
خالد : لا تخشى بأساً على « نمرود » يا « عالية » .. إنه

عن « نمرود » ، وهو يقف أمامهم منهكاً خائر القوى ! ..
فصاحوا عليه : « نمرود » ! .. أين كنت ؟ .. كنا
خائفين على حياتك ! ..

خبر « نمرود » على الأرض بجوارهم ، وقال : على بقليل
من الماء ! ..

فناولوه « سلمان » كوباً من الليمون ، شربه في جرعة
واحدة ! ..

وبعد أن التقط أنفاسه ، سأله « عامر » : ما هي الأخبار
يا « نمرود » ؟ هل من جديد ؟

نمرود : نعم .. عندي لكم الكثير من الأخبار
العجيبة ! ..

جلسوا حوله في صمت مطبق ، وهو يقص عليهم قصته
العجيبة ، فقال : عثرت على معسكر صغير به أربعة رجال
خرجوا للصيد . وعندما رأوني وأنا مقبل نحوهم ، انبطحوا
أرضاً على وجوههم هلعين مذعورين ! ..

عامر : وممّ يخافون ؟ هل هاجمتمهم ؟

نمرود : كنت أجهل السبب أول الأمر .. ولكني
اكتشفته بعد أن تفاهمت معهم ، ولكن بصعوبة بالغة . فأنا
إن كنت ألمّ ببعض لهجات هذه القبائل .. فإني لا أتقنها
تماماً ..

وبعد تردد طويل ، قال : إنهم اعتقدوا أنني من رجال
الجبل الأصفر ! .. أو الجبل السرى كما كانوا يسمونه
أحياناً ! ..

عامر : الجبل الأصفر ! .. الجبل السرى ! .. ماذا
تعني ؟

خالد : وهل هناك جبال سرية .. وجبال عليّة ؟
عامر : عليكم بالصبر ! .. استمروا يا « نمرود » ..

نمرود : يدعى هؤلاء الرجال أن هذا الجبل السرى يقع
خارج هذه الغابة . وأطلقوا عليه هذا الاسم ، لأن قبيلة
عجيبة جعلت من جوف هذا الجبل موطناً لها ! .. وقالوا إن
رجال هذه القبيلة يختلفون تماماً عن باقي رجال القبائل
المجاورة !

القبيلة ، شاهد بنفسه سقوط طائرة العقيد « ممدوح » ! ..
 « صمت نمرود » طويلاً ، وظهر الحزن على وجهه ، ثم
 قال : ولكنى أصارحكم القول .. إني أخشى أن يكون
 العقيد « ممدوح » قد وقع في أيدي هؤلاء الرجال .. وإنه
 الآن أسير في جوف الجبل السرى الأصفر ! !



عامر : كيف ؟ أليسوا زونجاً مثلهم ؟
 نمرود : حسباً فهمت منهم .. هم ليسوا سوداً ..
 أو سمرّاً ! .. بل صفراً في لون الذهب ! .. ولحاهم
 وشعورهم حمراء في لون الدم ! ! .. ولا يسمحون لأحد
 بمعاشرتهم أو الاختلاط بهم .. أو حتى الاقتراب منهم ! ..
 وحتى الآن لم يتمكن أحد من العثور على مدخل هذا الجبل
 الأصفر الغامض ! ..

خالد : أنت تبالغ يا « نمرود » ! ! ..
 عامر : هذه قصة عجيبة .. هل حقيقة ما تقوله ؟
 نمرود : هذا ما قيل لى .. والجميع هنا يتحاشونهم
 ويرهبونهم ! .. ويعتقدون أنهم سحرة ! .. وعندما
 شاهدنى رجال المعسكر ظنوني واحداً من رجال الجبل
 الأصفر ! ..

عالية : ألم تسألهم عن خالنا « ممدوح » ؟
 نمرود : طبعاً سألتهم .. فقالوا إنهم لا يعلمون عنه
 شيئاً .. ولكن .. سيصل إلى معسكرنا باكراً أحد رجال

انزعج المغامرون لاحتمال وقوع « ممدوح » بين أيدي رجال تلك القبيلة العجيبة ! .. وكان أشدهم اضطراباً « عالية » . فقالت والدموع تنهمر من عينيها : هل صحيح أن خالنا الآن أسير هؤلاء السحرة ؟ ..!



بونجو

عارف : والأدهى من ذلك أننا نجهل مقر هذه القبيلة ! !
 سلمان : ومادام الأمر كذلك ، فلن نتمكن من العثور على العقيد « ممدوح » .. فالحرص يقتضى أن نعود بالطائرة إلى « الخرطوم » فوراً ، ونأتي بفرقة مجهزة للبحث عنه ! ..
 فصاح الجميع في صوت واحد : لا « ياسلمان » .. هذا

عالية : ستولى هذه العملية بأنفسنا ! .. هذه ليست المرة الأولى التي نهب فيها لنجدة خالنا « ممدوح » ! . ولنبدأ الآن .. فوراً .. ولا نضيع الوقت ..

وعلى أثر قولها ، اتفق المغامرون فيما بينهم على البقاء حيث هم ! وإذا كان « سلمان » يرغب في العودة بطائرته إلى « الخرطوم » . فهو حرّ في أن يفعل ما يشاء ! ! .. أما هم .. فليست هناك قوة على الأرض تشيهم عن عزمهم ! .. أو ترزحهم عن هذا المكان !

نظر « سلمان » في حيرة إلى « نمروود » ، وقال : مارأيك يا « نمروود » ! .. هل سنبتقى ؟

نمروود : أنت تعلم جيداً يا « سلمان » ! أني لا أستطيع أن أترك سمو الأمير وحيداً في هذه الغابة ؟ ! وأنت أيضاً لا تستطيع أن تتركنا هنا في هذا المكان الرهيب ..

سلمان : إذن لا مفر من البقاء .. وأمرى إلى الله .. وكان لا حديث هذه الليلة في معسكر المغامرين ، سوى

قصة « نمرود » العجيبة ! .. أين يقع هذا الجبل الأصفر؟
ومن هم هؤلاء القوم ذوو البشرة الصفراء ، والشعور
الحمراء ، الذين يقطنون جوف هذا الجبل السرى ؟ وما الذى
يدفعهم إلى أسر « ممدوح » ؟ وكيف لهم أن يعثروا على مدخل
الجبل ، إذا كانت جميع القبائل المجاورة لا تدرى عنه
شيئاً ؟

إلى أن قال « نمرود » : ليس فى مقدورنا الآن أن نفعل
شيئاً .. سنتظر وصول الرجل الذى شاهد سقوط الطائرة
ليحدثنا عن معلوماته .. والآن حلّ موعد نومكم .. هذه
نوبتى فى الحراسة يا « سلمان » ، استرح أنت حتى أوقظك ..

حمل « نمرود » بندقيته ، وجلس كالصقر يراقب أشباح
الحيوانات وهى تحوم بعيداً فى أطراف الغابة ، لا تجرؤ على
الاقتراب من النار المشتعلة .

كان يفكر طوال نوبة حراسته فى الجبل الأصفر ،
وساكنيه من السحرة الغامضين . كان يفكر فى المغامرة الرهيبة

التي تلوح لهم فى الأفق ! إنه مغامر شجاع لا يهاب المخاطر
والمجازفات ، ولكنه كان يحرص على سلامة مولاه الأمير .
وأصدقائه الصغار المغامرين .. إلى أن انتهت نوبته . وأيقظ
« سلمان » ليحلّ محله ..

وبينما كانوا يتناولون إفطارهم فى صباح الغد ، إذا
بالرجل الذى شاهد سقوط الطائرة يخرج عليهم فجأة من
الغابة . وكان فى صحبته ولد صغير ! ..

كان الرجل أسود البشرة كالأبنوس . طويل القامة ، شبه
عار ، ويحمل فى يده بعض الحراب الطويلة . أما الصبى
فيلبغ من العمر حوالى أربعة عشر عاماً ، أسود ، نحيفاً ، باس
الوجه . وكان يلبس إزاراً من القش يلتف حول وسطه !
نظر المغامرون إلى هذا الصبى فى دهشة . وقد أنسوا إليه
من أول لحظة . فقال « عامر » : ومن يكون هذا الصبى ؟
نمرود : لا أدرى .. سنسأله عنه ..

وكم كانت دهشة الجميع عندما ردّ عليهم الرجل بلغة
عربية ركيكة ، ولكنها مفهومة ، قائلاً : اسمى « مانجا » ..

وهذا «بونجو» ابن أخي .. «بونجو» ولد شجاع يساعدي
في الصيد ..

بونجو : وأنا أيضاً أتكلم العربية قليلاً ! ..

مانجا : تعلمنا العربية في «الخرطوم» .. نذهب إليها
ليبيع جلود النور والقروود والتمايح ..

عامر : هل شاهدت الطائرة وهي تسقط في الغابة ؟ ..

مانجا : كنت أصيد بعيداً عن الجبل الأصفر .. خوفاً من
رجال القبيلة الصفراء .. عندما سمعت صوتاً عالياً في
السماء .. ورأيت الطائرة وهي تسقط .. وأربع مظلات
بيضاء تهوى متفرقة في الغابة الواسعة ..

عالية : وهل رأيت خالي «ممدوح» ؟ ..

مانجا : لا أعرفه ! .. بحثنا في الغابة ثلاثة أيام ، وتمكننا
التنور على ثلاثة أشخاص ! .. أما الرابع
فاختفى ! .. !

عارف : وهل تعرف الطريق إلى هذا الجبل الأصفر
ظهرت علامات الخوف على وجه «مانجا» ، وقال بعد

تردد شديد : نعم .. ولكني لا أعرف الطريق إلى داخل
الجبل ! .. لا أحد يعرفه ! !

عامر : هل يمكنك أن تدلنا إلى هذا الجبل ؟

فهمز «مانجا» رأسه بعنف دلالة الرفض ، وقال : هذه
مجازفة خطيرة .. فالطريق شاق وعمر .. والوحوش تملأ
الغابة .. وقد يصادفنا ما هو أخطر من هذه الوحوش ..
هؤلاء الرجال الصُفر ! ..

كان المغامرون يستمعون إلى «مانجا» في هدوء ! ماذا
يهتمهم إذا كان الطريق شاقاً وعراً .. أو أن الغابة مملوءة
بالوحوش المفترسة ، أو بالرجال ذوى البشرة الصفراء ، كل
ما يهتمهم هو نجدة «ممدوح» ..

وقد يكون هذا الجبل الأصفر ، وما بداخله من أسرار ،
أوهاماً تتخيلها هذه القبائل البدائية ! إنهم لا يتصورون
رجالاً صُفر الوجوه .. حُمر اللحي والشعور ! ! ما الذي أتى
بهم إلى هذا العالم المنعزل وسط الغابة السوداء ؟ ! ! ..
وأخيراً تكلم «عامر» ، وهو يوجه حديثه إلى «مانجا» :

دخل الطابور الغابة المظلمة ، ذات الأشجار الضخمة
المتشابكة ، والفروع التي تشبه الجبال الغليظة تتدلى منها
وتعوق أمامهم السير في الدروب الوعرة الضيقة . .

وكان صباح القروود والنسانيس والطيور يملاً فراغ الغابة .
ولكنها لم تكن تثير فيهم الشعور بالخوف . إنهم تعودوا عليها
وهي تتبعهم أينما ذهبوا في غابات « سملا » بالهند ، حتى
أصبحت عندهم الآن شيئاً عادياً . .

وهكذا استمرت المسيرة حتى العصر ، وابتدأت تخفّ
كثافة الأشجار ، ويتخلّل ضوء الشمس من بين فروعها .
فقال « عامر » : ليست هذه الغابة بالاتساع والوحشة التي كنا
نتنظرها ! . .

فأجاب « نمرود » وهو يبتسم : « مانجا » يعرف طريقه
جيداً . . لقد تفادى السير بنا في أعماق الغابة ، وسار بنا في
أطرافها ، وإلا لأضطررنا إلى شقّ طريقنا بالبلط
والفؤوس . .

وعندما وصلوا إلى بقعة عارية ، قذف « مانجا » بحمله

أملنا الوحيد في العثور على خالنا ، هو أن يكون أسيراً بين
أيدي هذه القبيلة العجيبة . في جوف هذا الجبل ، ومهمتك
معنا محدودة . . وهي أن تدلّنا فقط على طريق الجبل . .
وتركنا هناك ! .

وبعد تردّد وصمت طويل . قال « مانجا » : إذا كان
الأمر كذلك فلا بأس . . وأنا غير مسئول عن حياتكم بعد
ذلك ! . .

عالية : وهل سيراقتنا « بونجو » ؟

وكان « بونجو » يقف ساكناً باسمّاً طول الوقت ، فقال
على الفور : طبعاً . . « بونجو » يعرف الطريق جيداً . .
« بونجو » لا يخاف ! . .

ترأس « مانجا » الطابور . وهو يحمل على رأسه العارى
متاع المغامرين ، وفي يده الحراب المسنونة . وكان « بونجو »
يتذلل الطابور . لا يفارق « عامر » . يحاول أن يتودّد إليه
ليزيل عنه رهبة المكان ووحشته ! . .

الثقيل من فوق رأسه ، وقال : أنتم في حاجة إلى الراحة . .
سيكون الغد يوماً عصبياً . . سنبيت ليلتنا هنا . . .

كان المغامرون يتذرعون بالصمت والصبر في مسيرتهم
الشاقة الطويلة . فما إن سمعوا من « مانجا » قوله هذا ، حتى
ارتموا على الأرض مبهوكي القوى . لقد تحملوا ما فوق طاقتهم
من جهد وإرهاق . .

أما « بونجو » فبدا لهم أكثر نشاطاً عن ذي قبل ! . .
حتى أن « عالية » تعجبت لقوة احتماله الحارقة ، وسألته :
ألا تشعر بالتعب يا « بونجو » بعد هذه الرحلة الشاقة ؟
فأجابها ضاحكاً : شاقة ! ! بل كانت نزهة لطيفة ! . .
سأذهب الآن داخل الغابة للبحث لكم عن بعض الفواكه
البرية والماء . فإلى هنا نادر ! . .

فلفتت « عالية » نظره إلى بركة ماء قريبة ، فقال
« بونجو » : ابتعدوا عن هذه البركة . . إنها مملوءة
بالتماسيح ! ! . . كانت لي فيها تجربة مريرة ! . .

ثم تقدم إلى المغامرين ، وأشار إلى عقد يلتف حول

رقبته . وكان هذا العقد عبارة عن خيط تتدلى منه أربعة
أنياب كبيرة حادة ! . . وقال : هذه أنياب تمساح كاد
يلتهمني في هذه البركة . . ولكن والدي قتله . . وصنع لي
هذا العقد من أنيابه الحادة . .

عامر : ولماذا تضعه في رقبتك ؟

بونجو : هذه تعويذة . . تقي حاملها من الشر

والأذى ! ! . .

سمارة : ما رأيكم في أن نصطاد الآن تمساحاً . . ونصنع
من أنيابه تعاويذ تحمي من رجال القبيلة الصفراء ! ! . .
عالية : اذهب وحدك يا « سمارة » ، وصد ما شئت من
التماسيح ! . ليس هذا وقت المزاح ! . .

وقبل أن يختفي « بونجو » في قلب الغابة ، كان المغامرون
يرقدون في نوم عميق . فنظر « مانجا » إليهم ، وقال : يجب
أن يأخذوا الليلة قسطهم من الراحة التامة . . فسنبداً في
التسلق عالياً غداً صباحاً .

* * *

وفي الصباح الباكر ، قادهم « مانجا » في طريق صاعد ، يصعب تسلقه ، ويقع تحت سفح سلسلة من الجبال العالية . ولكنهم ما لبثوا أن تعودوا عليه ، وإن كانت أقدامهم أخذت تنزلق من وقت إلى آخر . أما « بونجو » - وكان لا يفارق « عامر » - فكان كالماعز الجبلي . . . ثابت القدمين . . . سريع الحركة ! . . .

وكان « عامر » قد تعود على صحبته اللصيقة ، حتى أنه بدأ يفتقده كلما اختفى عنه فجأة ، ليبعث لهم عن ماء أوفاكهة ، أو عن زهرة بريّة جميلة ، ليهدئها إلى « عالية » ! . . .

وهكذا استمروا في الصعود التدريجي ، حتى كادت سيقانهم تعجز عن حملهم . وكانوا يشعرون بالبرودة كلما زاد بهم الارتفاع . ومع ذلك لم تبدُ لرحلتهم نهاية ! . . . ولم يلحظوا أي أثر يدل على وجود جبل أصفر . فقد كانت الجبال كلها متشابهة في صخورها السوداء الملساء ! . . . وكان « نمروود » يحمي ببندقيته القافلة الصغيرة من

الأمام ، و « سلمان » من المؤخرة ، بعد أن حذرهما « مانجا » من احتمال مهاجمتهم من رجال القبيلة الصفراء الغامضة ! . . .

وسأل « عامر » تابعه : أما لهذه المسيرة من نهاية ؟ إني لا أرى جبلاً أصفر ! . . .

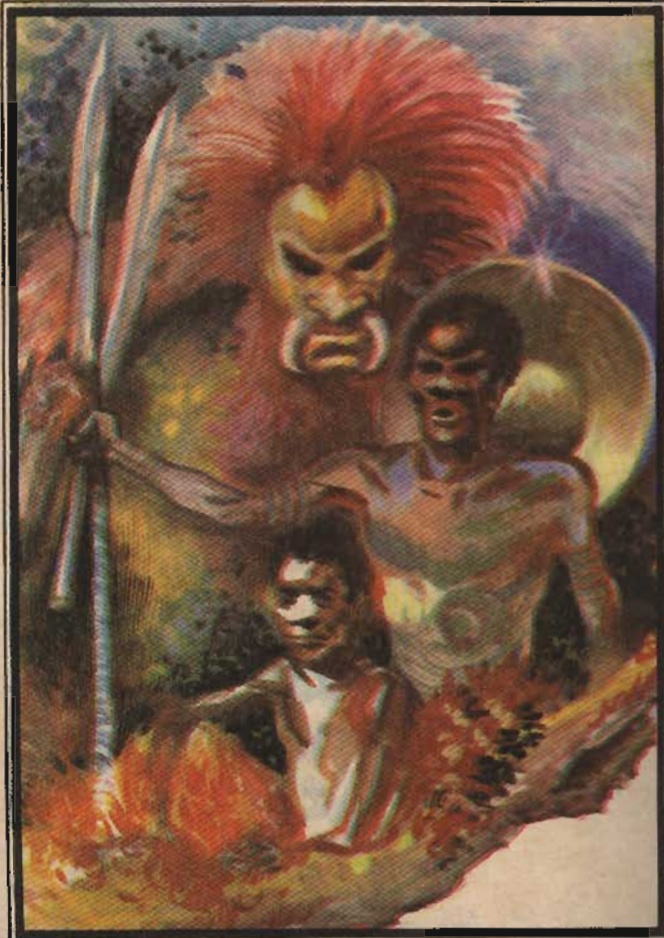
فابتسم « بونجو » ، وقال : نحن الآن في طريقنا إلى ممر يشقّ جبلين ! . . . ومن خلال هذا الممر ، سيظهر لكم الجبل الأصفر . . . واضحاً شامخاً ! . . .

عامر : كم أنا مشتاق لرؤيته . . .

وأخيراً وصلوا إلى الممر المنشود ، بعد عذاب طويل ، وقبل أن يحلّ الظلام . . . توقفت القافلة ، وألقى المغامرون نظرة من خلال الجبلين ، على المنظر الذي ظهر أمامهم فجأة ! . . . وقفوا مشدوهين وهم يتطلعون إلى أعجب منظر يمكن أن يصادفه إنسان ! . . . هل ما يرونه أمامهم الآن حلاًماً أو خيالاً ؟ . . .

انعقدت ألسنتهم عن الكلام فترة طويلة ، إلى أن نطق

« مانجا » ، وصاح قائلاً بصوت مرتعش : هذا هو الجبل
السرى ! هذا هو الجبل الأصفر ! .. ها هو ذا أمامكم ..
إنه ليس أسطورة !



قال «مانجا» : قد يصادفنا ما هو أخطر من هذه الوحوش .. هؤلاء الرجال الصفر

المغامرون فوق الشجرة !



الأمير خالد

لاح الجبل الشامخ
أمامهم واضحاً . كان
مخروطى الشكل كقمع
السكر ، تنبت على
منحدراته الحادة النباتات
والزهور البرية الصفراء . ياله
من لون جميل زاهٍ يحاكي
لون الذهب الوهاج !

أما أعجب ما فيه فهي قمته ! كانت واسعة مسطحة ،
مهذتها الطبيعة وكأن يداً نحتها وسوّتها !

وكانت « عالية » تتطلع إلى القمة في ذهول ، وهي
تتمم : إنها مستوية كسطح المائدة الكبيرة ! ..
وأشار « مانجا » إلى القمة بحرته ، وهمس في خوف :
سمعت أن رجال هذه القبيلة يخرجون أحياناً إلى القمة ، وأنهم

يقفون عليها يتعبدون إلى الشمس !! ..

عارف : أليس من العجيب أن يعيش بعض الناس
منعزلين في مثل هذا المكان ؟ .. !

نمرود : تعيش بعض القبائل منعزلة في الغابات .. أو في
الجزر .. أو في الصحراء .. أما في مثل هذا الجبل .. فهذا
هو العجيب !

عامر : أعتقد أنهم يخرجون من وقت لآخر للصيد في
الغابات المجاورة .. ولهذا علمت القبائل الأخرى
بوجودهم ..

سمارة : والغريب في الأمر أن تكون بشرتهم صفراء
وشعورهم حمراء ! وليست سوداء أو سمراء ! ..

نمرود : هذه ظاهرة محيرة ! .. لم نسمع من قبل أن
أناساً لهم بشرة في صفرة الذهب ؟ وشعوراً في حمرة
الدم ؟ .. !

خالد : ولماذا الجدال ؟ .. هذا هو الجبل أمامتنا ..
فلنصعد إليه ! ! .

كان الجبل يبدو أمامهم قريباً ، ولكنه كان في الواقع
بعيداً عنهم كل البعد ! .. وكان يفصلهم عنه نهر صغير
سريع الجريان .. يتجه مجراه إلى سفح الجبل .

فقال « مانجا » : هذا النهر هو السبيل الوحيد الذي
سيقودنا إلى السفح ..

سمارة : كيف ؟ .. سباحة ! ! ..

فضحك « بونجو » وقال : كلا .. وهل نسيت
التماسيح ! انتظروا قليلاً ..

وفي نصف ساعة ، كان « مانجا » و « بونجو » قد انتهيا من
صنع ثلاثة أطواف من جذوع الأشجار ، المربوطة بالفروع
الطويلة التي تشبه الجبال ! ..

وبعد أن أتت صنعها ، ألقيا بها في الماء ، وقال
« مانجا » : هيا بنا .. ولكن حاذروا أن يسقط أحدكم في
الماء ! ..

تردد الجميع طويلاً في اعتلاء هذه الأطواف . إن ركوبها
يحتاج إلى دراية وبراعة ، وهم لم يتعودوا عليها من قبل !

فماذا لو سقط واحد منهم وسط هذا التيار الجارف؟ إنه سيصبح ولا محالة طعاماً للتهاسيح! ..

وكان «نمرود» هو الوحيد في القافلة الصغيرة، الذي يبرع في ركوب الطوف. فأخذ معه «عالية» و«خالد». كما اصطحب «مانجا» معه «عارف» و«سلمان». أما «بونجو» فقد أصرَّ على أن يرافقه «عامر» و«سمارة».

وهكذا سارت بهم قافلة الأطواف في طريقها إلى سفح الجبل الأصفر. كانت تهتز وتترجح، وتجتاز الصخور والجنادل التي تعترض طريقهم وسط التيار السريع الجارف!

وأخيراً وصلوا بسلام وأمان ..

وما إن وطأ «مانجا» بقدمه أرض الشاطئ، حتى ركبته الخوف الشديد، وهو ينظر إلى الجبل الغامض!
أما «بونجو» فكان على عكسه، غير هيَّاب أو وجل، باشَّ الوجه كعادته .. هل هو شجاع حقيقة؟ أو إنه مازال

يافعاً لا يدرك الخطر المحيِّق به؟ ..

قال «مانجا» وهو يرتجف: ها قد وصلنا .. وسأعمل الآن على إخفائكم عن عيون القبيلة الصفراء هذه الليلة .. ولن أتقدم بعد ذلك خطوة واحدة! وعليكم أن تجدوا طريقة لدخول الجبل وحدكم في الصباح .. أما أنا فسأرحل إلى قبيلتي في الحال! ..

عامر: و«بونجو»! هل سبق معنا؟

فأجابه «بونجو» وهو يغمز بطرفه: سأرافق عمي إلى معسكرنا، حتى أطمئن على سلامته! ..

سمارة: وكيف ستفاهم وحدنا مع رجال القبيلة؟

مانجا: هذا شأنكم! .. ادخلوا الجبل أولاً .. وفكروا

في وسيلة للتفاهم معهم بعد ذلك! ..

ثم أشار إليهم أن يتبعوه إلى شجرة باسقة مورقة تقع في مواجهة الجبل. وقال: سوف نتسلق هذه الشجرة العالية .. حيث ستنامون على فروعها حتى الصباح .. ولن يكتشف أحد وجودكم! ..

عالية : كيف نقضى ليلتنا وسط القروود والنسانيس ؟
وإذا تحركنا في نومنا فسنهوى من ارتفاع شاهق وتدق
أعناقنا ! ..

مانجا : لاخوف عليكم من القروود ! .. وسأتولى مع
« بونجو » رباطكم في الشجرة بالفروع المتسلقة ! ! ..
أسرعوا قبل أن يحلّ الظلام !
تسلق المغامرون الشجرة في خفة وسهولة . وتبعهم
« نمرود » و« سلمان » وهما يحملان البطاطين . وجلسوا فوق
فروعها في انتظار « مانجا » و« بونجو » اللذين كانا يقطعان
الفروع الطويلة المتسلقة .

وكان صباح القروود يصم الآذان من حولهم ، احتجاجاً
منها على اقتحام هؤلاء الدخلاء لموطنها ومأواها ! ..
وبعد أن تدثروا بالبطاطين درءاً للبرد في هذا الارتفاع
الشاهق ، تولى « مانجا » و« بونجو » قيدهم بعناية ، حتى
تعذرت عليهم الحركة ! أما الحارسان « نمرود » و« سلمان »
فقد قيدهما « مانجا » وهما جالسان يحملان سلاحهما ،

ويستندان إلى جذع الشجرة ! ..

وكانت « عالية » تضحك وهي تقول : وماذا لوهاجمنا
الآن حيوان مفترس ؟ سنصبح له فريسة سائغة ! ..
وبعد أن انتهى « مانجا » من مهمته ، قال لهم وهو يسرع
في النزول : والآن سأترككم في عناية الله . . . لقد انتهت
مهمتنا عند هذا الحد ! ..
وكان « بونجو » يتسم كعادته ، ويلوح لهم بيده ،
ويصدر إشارات برأسه وعينه لم يفهم المغامرون لها
معنى ! ..

طلع النهار عليهم بعد ليلة ليلاء قضوها في نوم متقطع .
كانت القروود والنسانيس تقفز فوق رؤوسهم ، وهم
لا يستطيعون لها درءاً ! ! .. وعندما استيقظوا في الفجر ،
كانت أطرافهم قد شلت تماماً عن الحركة ! ..
وبعد أن انتهى « نمرود » من فك قيدهم ، جلسوا
ينظرون إلى الجبل القريب ، وقد انهبروا من منظره الرائع

الخلاب . ياله من لون ذهبيّ غريب يكسو جوانبه المائلة في
انحدار شديد !

ولم يكن هذا اللون الفريد هو الذى شدّ انتباههم !
ولا ارتفاع قمته الشاهقة التى تكاد تمس أطراف السماء ! ..
بل شدّهم انحداره الخفيف الذى يكاد أن يكون رأسياً ! ..
نزّلوا جميعاً وافترشوا الحشائش تحت الشجرة ، يستظلّون
بأفنانها المورقة من أشعة الشمس الحارقة .

فقال « عامر » وقد بدت خيبة الأمل على وجهه :
لا يمكن تسلّق هذا الجبل ! ..

عارف : وإذا كان التسلّق ممكناً .. فالتزول يكون
مستحيلاً !

عالية : إذن كيف سنعثر على خالنا ؟ ! ..

نمرود : قال مانجا ، إنه سمع من رجال القبائل أن من
يريد دخول الجبل .. فعليه احتراق الصخر ! ! ..

خالد : وكيف نخترق الصخر ؟ ! .. هذه أساطير يتشدّق
بها رجال القبائل ! ..

سمارة : هذا ما فعله « على بابا » ! ! وقف أمام الجبل
ونادى « افتح يا سمسم » ! .. فانفتح الجبل ! ! ..

عالية : هذه فكرة نيرة يا « سمارة » ! .. كان على بابا «
يقف أمام الجبل ينادى « افتح يا سمسم » ! ! فتترلق عنه
صخرة كبيرة .. ويدخل المغارة ! ! .. هذا
ما سنفعله ! ..

عامر : وحتى إذا صحّ هذا معنا هنا .. فكيف سنعثر على
مثل هذه الصخرة فى هذا الجبل الضخم ! ..

عارف : فى إمكاننا أن نكتشف ذلك بسهولة ! !
عامر : كيف ؟

عارف : أن نتسلّق الشجرة ، ونربط بين فروعها نراقب
الجبل .. إلى أن يفد رجال القبيلة ! ونرى كيف يدخلون
الجبل ! ! .. أو يخرجون منه ! ..

نمرود : قد نمكث هنا طويلاً دون طائل .. ولا يظهر
منهم أحد ! ..

عارف : ليس أمامنا غير هذه الوسيلة ، حتى لو مكثنا

شهرًا ! لن نرجع قبل أن ندخل هذا الجبل . . .
وبعد مداولات طويلة فيما بينهم ، لم يجدوا أمامهم بدأ
من تنفيذ فكرة « عارف » . على الأقل إلى أن يكتشفوا وسيلة
أخرى . .
فتسلقوا الشجرة من جديد ، واتخذ كل منهم مكاناً
حصيناً يراقب منه الجبل ! . .

كانوا يتبادلون الحديث قتلاً للوقت ، وعيونهم لا تغفل
عن الجبل . فقالت « عالية » : لو كان « بونجو » معنا
الآن . . لأتى لنا بالماء والفواكه والزهور ! . .
وهكذا استمرت المراقبة حتى أقبل الليل ، وحان موعد
النوم ، فاقترح « خالد » أن يفتشوا الأرض تحت الشجرة ،
وقال : لن ننام مربوطين في فروع الأشجار بعد الآن ! . .
تكفيننا تجربة الليلة الماضية القاسية ! . .

ولكن « نمرود » قال له معترضاً : هذا مستحيل ! إذ
لابد في هذه الحالة من إيقاد النار لطرده الحيوانات المفترسة !
وإذا فعلنا ذلك سيرها رجال القبيلة فيفتكون بنا ! . .

فصبح كالمستجير من الرمضاء بالنار ! . .
رضخ المغامرون أمام الأمر الواقع . وكان « عامر »
يشجعهم بقوله : « نحن لسنا في نزهة خلوية . . وإذا كانت
هذه المغامرة ستقودنا إلى إنقاذ خالنا « ممدوح » . . فسيهون
علينا هذا العذاب ! . .

كان « نمرود » متيقظاً ، وهو يقوم بنوبة حراسته قبل بزوغ
الفجر . وإذا به يسمع حفيفاً يصدر بالقرب منه بين الفروع
والجذوع المتشابكة .

ما هذا الصوت ؟ إنه ليس صوت طائر أو حيوان
صغير ! أيكون فهذا تسلق الشجرة ليختار فريسته من بين
المغامرين ! إنه يعرف أن الفهد هو سيد الغابة في تسلق
الأشجار في صمت وخفة ومرونة ! . .

فأيقظ « سلمان » وكان نائماً بجواره ، وهمس له :
استيقظ يا « سلمان » فنحن في خطر ! . . أعتقد أن فهذا
يجوم حولنا ! . .

الطريق إلى داخل الجبل !



نمرود

اندهش « عامر » عندما
استيقظ في الفجر ، ليجد
« بونجو » يرقد بجواره !
فأيقظه ، وصاح فيه :
« بونجو » ! حاذر لئلا تسقط
من فوق الشجرة . .
بونجو : لا تخف ! « بونجو »
لا يسقط . . لقد تعودت
على ذلك ! . .

صحا المغامرون ، وكان فرحهم برؤيته عظيماً . ها هو ذا
« بونجو » الوفي المخلص عاد إليهم . لاشك أنهم سيكونون في
أشد الحاجة لمساعدته وخبرته ! . .
وبعد أن هبطوا إلى الأرض ، وتناولوا إفطارهم ، قال
« عامر » : والآن سنبدأ في استكشاف هذه الناحية . .

كان الظلام حالكاً ، فصوّب بندقيته صوب الصوت ،
ووضع أصبعه على الزناد استعداداً لإطلاق النار . .
ولكنه ماكاد يفعل ذلك ، حتى سمع صوت همس
يقول : لا تطلق النار . . أنا « بونجو » ! ! . .
نمرود : « بونجو » ! . . يالها من مفاجأة . . كيف رجعت
بهذه السرعة ؟

زحف « بونجو » نحوه بصعوبة بالغة . كان في حالة يرثى
لها من الإنهاك ، على أثر الرحلة الطويلة الشاقة التي اخترق
فيها الغابة السوداء ، وحيداً أعزل . . ذهاباً وإياباً ! . .
بونجو : رجعت لمساعدتكم . . أنا الآن في حاجة إلى
النوم . .

قال هذا وزحف وسط المغامرين ، يبحث عن
« عامر » . . ليرقد إلى جواره . .

نمرود : يجب الاحتراس الشديد ! إذ من المحتمل أن يكون رجال القبيلة الصفراء قد عرفوا وجودنا ! ..
خالد : ولمّ الخوف .. ألسنا مسلحين بالبنادق ؟
عالية : سأسير بجوار « نمرود » و « سلمان » ! ! ..
لأحتمى بهما !

سلمان : يحسن بك أن تفعل ذلك ..
عامر : لا بدّ أن نفعل شيئاً .. يجب أن نبدأ حالاً !
حملوا متاعهم القليل ، وساروا بجوار سفح الجبل .
كانت المسيرة شاقة ، ولكن كان « بونجو » يسير في المقدمة ،
ينتقى لهم أسهل الدروب وأقصرها ..

وبعد نصف ساعة من السير الحثيث حول الجبل ، توقفوا
فجأة على صوت غريب يأتيهم من بعيد . فقال « عامر » :
ما هذا الصوت العجيب الذى نسمعه ؟ ! ..

فضحك « بونجو » ، وقال : هذا صوت المياه
العالية ! ! !

نمرود : ماذا تقصد بالمياه العالية ! هذا صوت رعد ! !

عارف : أظنه يقصد صوت الشلال ! ! ..
عامر : فعلاً هذا صوت هدير شلال ! وصوته يبدو
أقرب مما نظن ..

تابعوا السير خلف « بونجو » ، وكان هذا الصوت المدوّى
يعلو كلما تقدموا فى السير . إلى أن لاح أمامهم فجأة منظر
الشلال !

كانت مياه الشلال الجارفة تسقط من فتحة كبيرة عالية
وسط حائط الجبل ، ورذاذها يتناثر فى الهواء كالضباب
الكثيف ! فوقف المغامرون أمام هذا المنظر الخلاب ، وهم
يشعرون بالذهول والرهبة !

وأخيراً نطقت « عالية » : هل تذكرون ؟ .. إنه يشبه
الشلال الذى اكتشفناه فى الوادى الرهيب ! ..

عارف : ولكن هذا الشلال أكبر كثيراً ! .. أعتقد أن
نهرًا يجرى داخل الجبل .. ويصبّ مياهه من هذه الفوهة
الواسعة !

كان عليهم أن يلتفتوا حول بحيرة واسعة خلفتها مياه

الشلال . وكان « بونجو » يحرق بنظراته الحادة في مياه البحيرة ، إلى أن اكتشف فيها موضعاً ضحلاً ، يمتلئ بالصخور الناتئة ، ويؤدي إلى سفح الجبل !

فأشار إليهم على هذا الموضع ، وقال : من هنا ! . . . عامر : أعتقد أنه يمكننا اجتياز هذه البحيرة من هذا المكان الضحل . . .

خاض « بونجو » في الماء حتى ركبتيه ، وأخذ يقفز كالماعز من حجر إلى حجر . وتبعه الجميع .

اجتازوا البحيرة بسلام ، ووصلوا إلى سفح الجبل عند صخرة ضخمة شاهقة . وبينما هم يلتفون حولها ، إذا بهم يسمعون أصواتاً ! . . . فتسمرت أقدامهم في الأرض . وكنموا أنفاسهم من الخوف والهلع ! . . .

كانت هذه الأصوات خشنة جافة ! أتكون أصوات بعض رجال القبائل المجاورة القريبة ؟ . . . أم إنها أصوات رجال قبيلة الجبل الأصفر ؟ ! . . .

أشار لهم « بونجو » بالتزام الصمت التام . ثم زحف على

بطنه كالأفعى ، حتى وصل إلى مكان أمين يكشف منه مصدر الصوت .

وكان المغامرون يراقبونه بلهفة ، عندما رأوه يتوقف فجأة عن الزحف ، وقد بدت مظاهر الفرع الشديد على وجهه ! . . .

التفت « بونجو » إليهم ، وكأنه يستنجد بهم ! تردّدوا طويلاً فيما يفعلون ؟ وأخيراً لم يجدوا مفرّاً من أن يتبعوه . فزحفوا على بطونهم فوق الحشائش والأشواك والأحجار إلى أن لحقوا به . . .

وما كادوا يطلّون على المنظر الذي ظهر أمامهم واضحاً ، حتى كادت شعورهم تقف من هول ما رأوا ، وانعقدت ألسنتهم كمن أصابته صدمة ! . . .

أخيراً ! . . . ها هم أولاء رجال الجبل الأصفر يقفون أمامهم عن قُرب ! . . . لاشك أن « مانجا » لم يكن مغالياً في وصفه لهؤلاء الرجال ! حقيقة أن بشرتهم في لون الذهب الأصفر . . . وشعورهم ولحاهم تكتسي بلون أحمر ملتهب ! ! . . .

ولكن ما كان يجري أمامهم جعلهم ينسون الوجوه
الصفراء والشعور الحمراء ! . فقد توجه بعض الرجال إلى
موضع من الحائط الصخري للجبل الأصفر ، وأخذوا
يدفعونه إلى الخلف . وإذا بباب ضخم يدور حول محور ،
وينفتح عن مدخل واسع وسط الحائط ! وكان لاحتكاك
الباب الصخري وهو يدور صرير عال مزعج كاحتكاك شقبي
رحى ضخمة ! . . .

ثم ولج الرجال الصُّفْر إلى داخل الجبل ، حيث اختفوا
عن الأنظار . وبعد قليل انزلق الباب ، وسدَّ الحائط
الصخري .

وبعد فترة طويلة من الصمت ، قال « عارف » : إذن
هذا ما كان يعنيه « مانجا » عندما قال : عليكم باختراق
الصخر لتدخلوا الجبل ! ! . . .

عامر : والآن . . . ماذا سنفعل بعد أن عرفنا الطريق إلى
الداخل ؟

عالية : سندخل طبعاً ! ! . . .

عارف : يجب علينا أن نترث . . . وننتظر حلول
الظلام . . .

نمرود : هذا عين العقل . . . وسيجد لكم « بونجو » مخبأً
أميناً حتى يحين الوقت . . . أما أنا فسأرى ما يمكن أن أفعله . . .
ولا خوف على طالما هذه البندقية في يدي ! . . .

كان المغامرون يقعون في مخابهم بين الشجيرات الكثيفة
والحشائش الطويلة . أمّا « عامر » و « بونجو » فقد تسلَّقا
شجرة عالية ، يراقبان المدخل بصبر نافذ ! . . .

وعندما خيم الظلام ، تسلَّل « نمرود » إلى الباب
الصخري العجيب . ولم يكن من السهل أن يعثر عليه في
الظلام الدامس . فأخذ يدفع الصخر هنا وهناك بذراعيه
الفولاذيتين . وبغته علا صوت الصرير والاحتكاك المزعج ،
يرنَّ صدها في أرجاء المكان ! . . . فاندفع إلى الخلف يحمي
في ظل صخرة ، خوفاً من أن يكتشفه سكَّان الجبل
الأصفر ! . . .

انتظر طويلاً . . . ولكن لا حسَّ ولا خبر من أحد ! لم

يكن يسمع سوى صوت مياه الشلال .. ونقيق الضفادع ..
وصياح القروء ! ..

وكان المغامرون يرتجفون من الترقب ، ويهتزون من
الإثارة ، وهم يتطلعون إلى الباب المفتوح أمامهم !
وأخيراً لم يطق «عارف» صبراً ، فقال : هيا يا «نمرود»
نحاول الدخول .. أظنهم لم يسمعوا هذا الصوت ! ..
تحرك «نمرود» إلى الأمام ودخل من الباب .. وتبعه
«عارف» و«سمارة» و«خالد» . ثم «سليمان» وهو يمسك بيد
«عالية» ..

وكان «عامر» و«بونجو» يستعدان للهبوط من فوق
الشجرة العالية للحاق بهم . ولكنها ما إن وصلا إلى الباب
حتى وجداه مغلقاً . لم يجدا أمامها غير الصخر الأملس !
فصاح عليهم «عامر» بأعلى صوته : ماذا حدث ؟ افتحوا
الباب ! .. أين أنتم ؟ .. هل أنتم بخير ! ..

ولكنه لم يسمع غير صدى صوته يرتد إليه من الصخر
الأصم ! فأخذ يذق بيديه على الباب ، ويدفعه بكل ما أوتي

من قوة .. ولكن دون جدوى ! .. كان كمن ينطح
الصخر ! ..

وقف وهو ينظر إلى «بونجو» في ذهول ، وقال : إني
لا أفهم شيئاً .. ما الذي حدث ؟ ! ..





عالية

ما حدث هو أن المغامرین دخلوا وراء «نمرود» من الباب الصخری . ولكنهم ما كادوا يشاهدون ما أمامهم ، حتى جحظت عيونهم ، وتوقفوا عن الحركة ، حتى أنهم لم يشعروا بالباب الصخری ، وهو يُغلق وراءهم ! ..

فوجئوا ببهو واسع عالی الجدران ، تشعّ في أرجائه الأضواء الساطعة ! وفي وسط البهو درج طويل منحوت في الصخر ، يهبط عليه عدد غفير من رجال القبيلة الصفراء ، يتقدمون نحوهم في بطاء . كانوا يرتدون أثواباً فضفاضة زاهية ، ويحملون في أيديهم

عصياً ذهبية ، تشبه «الصولجانات» ! ..

وكان يتزعمهم رجل طويل القامة ، أصفر الوجه ، أحمر اللحية والشعر ، برّاق العينين ، وأخذ يتحدث إلى «نمرود» بلهجته ، وبإشارات من رأسه ويديه ! ..

فالتفت «نمرود» إلى المغامرین ، وقال : على قدر ما فهمت منه . . . هو يأمرنا أن نتبعه ! ..

ثم إلى «سلمان» وقال : وأنت يا «سلمان» . . . استعد بينديقتك ! .. فهم لا يعرفون البندقية . . . ولم يروها في حياتهم ! !

سلمان : أنا مستعد ! .. ولكن لا فائدة من استعمالها الآن ! فهم كثيرو العدد ! ..

عارف : الأجدر بنا أن نتمهل حتى تنجلي الأمور . . .
عالية : والحمد لله أن «عامر» و«بونجو» في أمان خارج هذا الكهف ! ..

تقدمهم الزعيم وهم يتبعونه وسط حراسة مشددة من رجاله الأشداء ! كانوا يحترقون البهو الواسع وراء البهو ،

ويصعدون الدرجات الصخرية ويهبطون منها ، وكلها مضاءة
بالأنوار الساطعة . وكانت الرسوم البدائية الملونة للحيوانات
والزواحف والأشجار تزئین الجدران والحوائط الصخرية ! ..

وأخيراً انتهت بهم رحلة العجائب داخل الجبل
الأصفر ، إلى بهو واسع ، جدرانه مرصعة بأحجار ذهبية ،
يسطع ضوءها في أرجاء المكان . وفي صدر البهو ، رأوا منصّة
عريضة مفروشة بالسجاجيد والطنافس المزخرفة بالرسوم
الملونة . وكانت تجاورها مائدة حجرية . تصطف عليها الأواني
المملوءة بالماء واللبن ، والخبز .

جلس المغامرون على المنصّة يستريحون مما أصابهم طول
اليوم العصيب من تعب وإرهاق ، بعد أن تركهم الرجال
الصُّفر ، وأوصدوا عليهم باباً خشبياً متيناً ! ..

وكانت « عالية » تشعر بالجوع والعطش ، فتقدمت من
المائدة ، وتناولت جرعة من اللبن ، وقطعة من الخبز .
ومالبث الباقون أن حذوا حذوها ، حتى شبعوا وامتلات

بطونهم . .

وكان « سمارة » يهمس لهم : كلوا واشربوا . . من يعلم
ماذا سيحدث لنا بعد ذلك . .

عالية : ربما تمكن « عامر » و « بونجو » من إنقاذنا ! فهزّ
« نمرود » رأسه في أسف ، وقال : لا أمل في ذلك ! . .
حتى لو تمكنا من فتح الباب الصخري . فسينضمّان إلينا في
هذا السجن ! . .

عالية : هل تظن أننا سنعثّر على خالي « ممدوح » ؟

عارف : أعتقد أنه يوجد في مكان ما داخل هذا
الجبل ! . .

نمرود : هذا جائز . . ولكن أين ؟ . . وكيف سنعثّر
عليه ! . .

ولم يكن أمامهم ما يفعلونه سوى النوم . فرقدوا على
الطنافس الثمينة الوثيرة . وما هي إلا دقائق حتى راحوا في
سباتهم ! . . أما الحارس الأمين « نمرود » فعجلس مستنداً إلى
حائط ، لا تغفل عيناه عن المراقبة . . وبندقيته في يده

وبجواره رقد «سلمان» .. ليتاوبا الحراسة !

تركنا «عامر» خارج الجبل وهو يدقّ الصخر بيديه ،
و «بونجو» يقف بجواره ، وأسنانه تصطك من الرعب ..
نظر «عامر» إليه في حيرة وقال : باللكارثة ! الجميع
أسرى في الداخل .. ونحن عاجزان عن مساعدتهم ! ماذا
نفعل الآن ؟ ..

فأجابه «بونجو» : سننام .. لا يمكن عمل شيء
الآن ! .. سأجد وسيلة في الصباح ! ..
رقد «عامر» على كومة من القش صنعها له «بونجو»
الذي جلس بجواره لا تغفل له عين . وكان يقده فكره في
طريقة يدخل بها هذا الحصن الغامض المنيع ، من مكان آخر
غير هذا الباب المقفول ! ..

إلى أن هداه تفكيره إلى شلال المياه المتدفق من فتحة في
وسط حائط الجبل ! .. هل يمكن أن يتسلل من خلال هذه
الفتحة إلى الداخل ؟ هذا أمر هين ! فما عليه إلا أن يتأكد



نظر «عامر» وقال : باللكارثة ! الجميع أسرى في الداخل

من ذلك بنفسه ! ..

فنهض بعد أن اطمأن على نوم « عامر » وانسلّ في هدوء ، وأخذ يعدو بأقصى سرعته ، حتى وصل الشلال .. كان منظر الشلال رائعاً مهيباً وهو يقف تحته ، ورذاذ مياهه الباردة يُغرق وجهه وبدنه الأسود العارى .. وكان صوت هدير المياه يتضخّم في سكون الليل ، حتى بدأ الخوف يتملكه !

لم يكن « بونجو » جباناً .. فهو لا يهاب الحيوانات المفترسة ، أو الزواحف السامة ! ولكنه كان يخشى هؤلاء الرجال الصُفر ، ذوى الشعور الحمراء ! .. إنه لم ير لهم مثيلاً من قبل ! .. إنهم يبدوون له كأرواح شريرة تهيم في الغابة السوداء ! ..

فما كان منه إلا أن تحسّس بيده تعويذة أنياب التمساح التي تلتف حول رقبتة ! الآن فقط لن يصيبه شرّ أوضرّ ! .. تذرّع بالشجاعة ، وتسلّق الصخر بأقدام ثابتة خلف مياه الشلال الباردة التي كانت تنهمر فوقه ، وترطب جسده

الساخن ، إلى أن وصل قريباً من الفتحة . كانت المياه تندفع منها في قوة خارقة ، وفي صوت يهدر كالمرعد القاصف يصم الآذان ..

تقدم قليلاً عند طرف الفتحة حيث تسقط المياه ، فرأى نوءاً بارزاً يشبه الرصيف ، لا يعدو عرضه عن نصف متر ، ويمتد داخل الجبل في محاذة حائط النفق الصخري ، الذي تحتته المياه الحارية منذ ملايين السنين ! ..

اكتفى « بونجو » بما شاهده ، وأسرع في العودة إلى « عامر » .

وكان « عامر » قد استيقظ وهو يرتعد على صوت زئير فهد ! .. أو ربما كان أسداً أو نمراً ! .. إنه لا يميّز بين أصواتها فكلها سواء ! .. وعلى كل حال سيان عنده كان هذا أو ذاك ! .. فأىّ منها كفيل بأن يفترسه في ملح البصر ! .. فتلفت حوله يبحث عن « بونجو » فلم يجده ! أين ذهب هذا « العفريت » ؟ !

وإذا « بونجو » يصل وهو مهلّل الوجه ، وقال :

أبشير! .. سندخل الجبل في الحال! ..

عامر: كيف؟ هل فتحت الحائط الصخري؟

بونجو: لا.. بل سندخل من الشلال!! هيا بنا

اتبعني!! ..

نظر إليه «عامر» في شك. «أجنَّ بونجو» أم أصابته لوثة

مفاجئة؟! ..

لم يكن أمام «عامر» إلا أن يتبعه، فسارا معاً إلى أن

وصلا الشلال. ثم تسلق «بونجو» الجرف الصخري، واقتفى

«عامر» خطاه، حتى وصلا قُرب الفتحة الواسعة.

نظر إليها «عامر» ملياً، وصاح بأعلى صوته، حيث كان

صوت هدير المياه يطغى على صوته، وقال: هل أنت مجنون

يا «بونجو»؟ ما الداعي لأن تأتي في هنا؟ كيف سنقاوم هذه

المياه، وهي تتدفق بسرعة لا تقل عن مائة كيلومتر في

الساعة؟! ..

ولكن «بونجو» لم يكن مجنوناً! .. فابتسم وهو يسحبه

من يده ويسير به في حذر من الانزلاق خلف مياه الشلال.

إلى أن وصل إلى طرفه المقابل، وقال: من هنا.. سندخل

من هنا! ..

فصاح «عامر» وهو ينظر إلى الرصيف الضيق البارز فوق

سطح الماء المتدفق: أظنك على حق يا «بونجو»! .. يمكننا

أن ندخل! .. أما إلى أين.. فالله وحده يعلم..

سارا وهما يتمسكان بالصخور الناتئة في حائط النفق،

خوفاً من الزلزل على أرضية الرصيف المبللة. إن حياتهما الآن

معلقة على زلّة واحدة، ليصرفها التيار السريع إلى أسفل

الجبل! ..

كان الرصيف يرتفع حوالي رُبع متر فوق سطح المجرى

المائي، ويمتد إلى مسافة بعيدة في جوف الجبل. وكانا كلياً

تقدما إلى الأمام خفّ صوت هدير الشلال. إلى أن اختفى

تماماً، ولم يعودا يسمعان غير صوت سريان المياه في النهر

الصغير! وكان الظلام حالكاً، فضوء الشمس لم ير هذا

المكان منذ بدء تكوينه! إلى أن تعودت عيناهما على

الظلام، تساعدهما في ذلك الأضواء الخافتة التي كانت تشع

من الأحجار الفوسفورية التي ترصع الجدران
والسقف ! ..

وأخيراً توقفنا بعد أن وصلا إلى مفترق من الطرق .
فسأل « عامر » : في أى طريق سنسير . . .

بونجو : انتظر هنا ولا تتحرك . . .

تركة « بونجو » وأسرع في طريق جانبي ، وظل « عامر »
في مكانه ينتظر على مضض ! وبعد فترة قصيرة حسبها دهماً ،
ظهر « بونجو » ، وعلامات الإثارة والخوف تظهران على
وجهه ، وأشار إليه أن يتبعه .

تبعه « عامر » في صمت وحيرة ، إلى أن وجد نفسه فجأة
أمام درج صخري طويل صاعد . وفي أسفل الدرج ، يتدلى
مصباح كبير ، يضيء المكان بنور أخضر خافت ، يضيء على
المكان الروعة والرهيبة ! ..

فهمس « عامر » : هل سنصعد ؟ أعتقد أن هذا السلم
سيقودنا إلى قمة الجبل ! ..

فأوماً « بونجو » برأسه ، وارتقيا السلم العالى بسرعة .

وبعد صعود متواصل مرهق ، قال « عامر » : لنسترح هنا
قليلاً . . .

جلسا على الأرض في صمت وهما يلهثان من التعب .
وماكادا يلتقطان أنفاسهما ، حتى سمعا على بعد منها صوت
صرير باب يُفتح ، أعقبته جلبة وضوضاء ! ..

ويالهول مارأوا ! .. ها هم أولاء رجال القبيلة
الصفراء يتدفقون من الباب إلى السلم ! ها هم أولاء
بأصواتهم الخشنة الجافة ، وببشرتهم الصفراء الباهتة ،
وبشعورهم الحمراء المتوهجة ، وبملابسهم الفضفاضة
الزاهية ! ..

ذعر « عامر » وأمسك بذراع « بونجو » الذي كان بدوره
في حالة يرثى لها من الهلع ، وهمس في أذنه : إذا نزلوا إلينا
فسيكتشفون وجودنا ! .. وكانت في ذلك نهايتنا ! .. ادعُ
الله معى أن يذهبوا في الاتجاه العكسي إلى فوق ! ..

الحمد لله . . لقد استجاب الله إلى دعائها . فبعد أن
أقل الرجال الصُّفر الباب المتين بالمزلاج ، صعدوا السلم ،

دفع الباب ، ونظر إلى داخل الحجرة الواسعة . ولكنه لم
يسمع صوتاً أو همساً ! ! . لو كانت جماعته في هذه
الحجرة ، لصاحوا وهللوا عليه ! ! . ولو كانوا من رجال
القبيلة لقبضوا عليه ! ! .

تقدّم بضعة خطوات إلى الأمام في جراءة وشجاعة . ثم
وقف وسط الحجرة ينظر في أرجائها على ضوء مصباح
خافت .

وفجأة دوى في الفضاء صوت يصيح : « عامر » !!
أهذا حقيقة أنت يا « عامر » !! ..
يا لها من مفاجأة مذهلة .. الخلع لها قلب « عامر » !! ..



دون أن يلتفت أحد منهم إلى أسفل ! ! .
وبعد أن اختفى الرجال ، وساد الصمت ، نظر « عامر »
إلى « بونجو » - وكان يتحسّس تعويذته بأنامله - وقال : ترى
من يكون في هذه الحجرة ؟ أتظنهم جماعتنا ؟ ..
بونجو : لا أدري .. ربما .. إذا كانوا في الداخل يمكننا
أن نسمع أصواتهم ! ! .

عامر : هيا بنا نتصّت على الباب ..
صعدا السلم في خفة وحذر . واقترب « عامر » وألصق
أذنه على الباب . ولكنه لم يسمع شيئاً !
أهو الباب « السميك » الذي يكتم الصوت ؟ أم إن
الحجرة خاوية ؟ وإذا كانت الحجرة خالية ، فلماذا يُحكّم
الرجال غلقها بالمزلاج ؟ ..

ثار في « عامر » حبّ الاستطلاع ، والتطلّع إلى ما في
داخل هذه الحجرة . وكان المزلاج ضخماً يبدو كأنّ من
المستحيل زحزحته ! ولكنه حاول فتحه .. فانزلق في
سهولة ! ! .



عارف

يا لها حقاً من مفاجأة
مذهلة ، انخلع لها قلب
« عامر » .. كما انخلع لها أيضاً
قلب العقيد « ممدوح » !!
نعم .. فقد كان الصوت
صوت « ممدوح » !! ..

كان « ممدوح » يرقد

منهك القوى على سجادة في ركن من الحجرة ، يراقب الباب
وهو يفتح ببطء . لقد ظنّه أول الأمر أحد رجال القبيلة يأتي
له بالماء والطعام . ولكن كم كانت مفاجأته عندما وجد
« عامر » أمامه ! .. إنه آخر من كان ينتظر أن يراه في هذا
المكان ! ..

فهبّ واقفاً وهو لا يصدق نفسه ، وأخذ يصيح في
هستيرية : « عامر » ! .. أهذا هو أنت يا « عامر » ! ! ! ..

أين « عالية » .. و « عارف » .. و « سمارة » .. أين
هم ؟ .. ماذا جاء بكم هنا ؟ ..

عامر : لا وقت للكلام يا خالي .. يجب أن نسرع
الآن .. وستحدث فيما بعد ! ..

بادروا في الخروج ، وهبطوا السلم الحجري على عجل .
وكان « عامر » يقصّ عليه مغامرتهم باختصار ، إلى أن انتهى
به الحديث إلى ما جرى لإخوته ومن معهم على أيدي رجال
القبيلة الصفراء !

ممدوح : أتعني أنهم الآن جميعاً أسرى بين أيدي هؤلاء
الرجال ؟ ! ..

عامر : نعم .. ولا نعلم أين مكانهم ..

ممدوح : يا إلهي .. هؤلاء الرجال الصّفر ينون بنا شرّاً
مستطيراً ! .. إنهم من عبدة الشمس ! ! ! ..
عامر : عبدة الشمس ؟ ! هؤلاء الرجال يعبدون
الشمس ! ! ! ..

ممدوح : نعم .. وأعتقد أن لهم معبداً فوق قمة هذا

الجبل ، يقدّمون فيه القرابين والضحايا إليها ! !
عامر : أتقصد أنهم سوف يضحون بنا من فوق القمة
لإرضاء الشمس إلهتهم ! ! . . .

ممدوح : نعم . . . ومهمتنا الآن أن نمنعهم من ذلك . .
عامر : إذن لن نخرج قبل العثور على إخوتي
وإنقاذهم . . . إنهم في مكان ما بالجبل ! ! . . .

وكان « بونجو » يتابع حديثها وهو صامت كان يفكر :
ماذا يعنى هذا الرجل بقوله « عبدة الشمس » ؟ والقرابين ؟ .
والضحايا ؟ . . . وماذا يعنى صديقه « عامر » من قوله : إنهم
سيلقون بنا من قمة الجبل إرضاءً للشمس ؟ ! ! . . . إنه
لا يفهم شيئاً مما يتحدثان عنه ! أما الشيء الوحيد الذى
أدركه . . . فهو أن حياتهم جميعاً فى خطر داهم ! خطر
الموت ، والإطاحة بهم من فوق الجبل ! ! . . .

تركنا المغامرين ومن معهم ، وهم يرقدون على الطنافس
الوثيرة فى البهو الواسع ! وكان نومهم متقطعاً ، تؤرقهم

الأحلام والكوابيس المزعجة . وعندما استيقظوا ، عرفوا
بجول الصباح من ساعاتهم ! فثقل هذا الحجاب الدفين فى جوف
الجبل ، لا يُميّز فيه ليل من نهار ! . . .

وكان القلق الشديد يبدو على وجه « عالية » ، وهى
تسأل « عارف » : إني أعجب ماذا حدث « لعامر »
و« بونجو » ؟ ! . . .

عارف : لا أدرى . . . ولا يمكننى أن أتصوّر ماذا
سيفعلان ؟

خالد : على كل حال . . . لن يكونا أتعس حالاً مما نحن
فيه الآن !

وعلى مسافة قريبة ، جلس « نمرود » و« سلمان » ، وهما
يحاولان جهدهما إخفاء قلقهما وخوفهما على المغامرين وعلى
مصيرهم جميعاً . . . سواء من كان منهم داخل الجبل
أو خارجه ! . . .

سمارة : ولماذا القلق عليهما ؟ . . . سيقبض عليهما هؤلاء
المتوحشون إن عاجلاً أو آجلاً . . . وسينضمّان إلى زمرتنا قريباً !

أما الآن فأنا جوعان ! .. كلوا واشربوا .. لعلها تكون آخر
وجباتنا ..

ولم يكد « سمارة » يمدّ يده ليلتقط قطعة من الخبز ، حتى
انفتح الباب على مصراعيه ، ودخل عليهم زعيم القبيلة ،
يتقدم بعض رجاله الأشداء وهم يحملون حراهم الطويلة .
وأشار إليهم بحرّيته أن يتبعوه ! ..

وكانت الحيرة تتناهم وهم يسرون خلفه في صف
طويل ! . إلى أين هم ذاهبون ؟ .. وماذا هم صانعون
بهم ؟ !

أخذوا يرتقون السلم ، ويحتازون الحجرات الواسعة التي
ترين جدرانها الرسوم الذهبية البديعة لقرص الشمس وهي
تنشر أشعتها ! ..

وهكذا استمرت بهم المسيرة طوال اليوم تقريباً ، إلى أن
كلت أقدامهم ، وتقطعت أنفاسهم ، وعجزوا عن مواصلة
السير والصعود . فخرّوا على الأرض الصخرية يستريحون مما
أصابهم من كلل وإجهاد ..

وعمس « عارف » لهم : أعتقد أنهم يصعدون بنا إلى قمة
الجليل ! ! وأعتقد أيضاً أنهم يعبدون الشمس .. ولذلك
نرى صورتها في كل مكان !

ثم نظر إلى ساعته ، وقال : الآن قاربت الشمس على
المغيب .. . والعادة أن عبدة الشمس يتعبّدون لها مرة عند
شروقها .. ومرة عند غروبها ! ..

عالية : أظن أننا سنراهم الآن وهم يتعبّدون إلى
الشمس ؟ ! .. ياله من منظر فريد ! ..

وعلى حين فجأة ، بدأ الزعيم في إنشاء بعض الصلوات
والتراتيل الغربية الحزينة ، بصوته الجهورى الخشن ، وشاركه
رجالها بعد ذلك . وكان صدى صوتهم يتردد في الفضاء يهزّ
الجدران الصخرية ، حتى خيل إلى المغامرين أن زلزلاً عنيفاً
قد وقع ! .. ياله من موكب مخيف ! .. وياله من موقف
رهيب ! ..

وكانت تلك التراتيل إيذاناً باستئناف المسيرة ، وبقرب
وصولهم إلى معبد الشمس الذى يعتلى قمة الجبل

الأصفر ! ..

دخل المركب العجيب من باب ضخيم واسع إلى قمة
الجبل المسطحة . وما إن شاهد المغامرون المنظر الذي أنجلي
أمامهم . حتى هتف « عارف » : لك حق يا « عالية » ..
ياله من منظر فريد ! ..

عالية : ولكني لم أكن أتصوره بهذه الروعة
والعظمة ..

كانت قمم الجبال الشاهقة تحيط بهم من كل جانب ! ..
وتمتد أمام ناظرهم الغابات الكثيفة والأودية الخضراء . إلى
مدى الأفق البعيد . يخترقها نهر ينساب وسطها كأنه
ثعبان ! ..

وبعد أن ملثوا عيونهم بهذا المنظر الساحر الخلاب ،
التفتوا إلى القمة التي يعتلونها . فإذا بهم أمام مسطح ممتد
واسع شاسع . مرصوف بأحجار صفراء لامعة ! تبلغ
مساحته ضعف مساحة ملعب لكرة القدم ! ! وعلى بُعد قليل

من جرف الجبل ، أقيم مبنى كبير . تحيط به الأعمدة
الضخمة ! ..

خالد : يبدو لي أن هذا المبنى هو معبدهم ..

عالية : سنعرف قريباً ! .. لا تتعجلوا !

سمارة : أما أنا فيبدو لي أنه السجن الذي سننزل
فيه ! ! ! ..

وعندما غابت الشمس تماماً ، فوجئ المغامرون بمن
حولهم من رجال القبيلة ، وهم يخرون على ركبهم ساجدين .
ثم أخذوا يرتلون ويبتهلون إلى السماء بأصوات حزينة ! .
وكان « نمرود » يستمع بإمعان إلى هذه الأناشيد . عندما
التفت إلى « سلمان » وهمس في أذنه : هذه صلاة موجهة إلى
الشمس ! .. أنا غير مطمئن لما يجري حولنا يا « سلمان » ! .
وكان « خالد » يقف على مقربة من حارسه ، فالتقط
همساته الخافتة إلى « سلمان » ، فسأله : ولماذا أنت غير
مطمئن ؟ ما الذي يزعجك ؟ ..

ولكن « نمرود » لم يشأ أن يصارحه بالحقيقة ! لقد فهم

الكثير من صلواتهم ! ! . . .
وما لبث الظلام الحالك أن خيم على الغابات والأودية ،
واختفت معه قمم الجبال . ولم يكن يُشاهد غير البريق اللامع
الخافت الذي يشع من الحجارة الصفراء التي تفتش القمة !
وعندئذ تقدم الزعيم ، وتطلع إلى السماء المظلمة ، وبدأ
يتحدث موجّها إليها حديثاً طويلاً بأعلى صوته القبيح ! ! . . .

وكان « نمرود » يصغى إليه بانتباه ، محاولاً أن يفهم منه
قدر طاقته ماذا يقول . وبعد أن انتهى الزعيم من حديثه
الطويل إلى السماء ، سأله « عارف » : ماذا يقول
يا « نمرود » ؟ . . .
نمرود : إن لهجته غريبة عليّ ! . . . ولعلّي فهمت منه
صواباً ! . . . إنه يبتهل إلى الشمس أن تختفي قليلاً ، لتفسح
الطريق أمام ظهور السحب وهطول الأمطار ! وإني أتصوّر
أنهم في حاجة ماسة إلى المطر لرى محاصيلهم ! . . . لأنهم في
خطر من المجاعة ! . . .
وبعد . . .

هو ورجاله إلى الخارج ، وتركوا الجميع وحدهم على القمة ،
بعد أن أقفلوا عليهم الباب الضخم بالمقاريس ! . . .
فقال « عارف » : ياله من سجن كبير فسيح ! . . .
خالد : لو حاول أحدنا الفرار ، وهبوط هذا الجرف ،
لهوى قتيلاً على سفح الجبل ! . . .

سمارة : وهم يدركون هذا ! . . . ولذلك تركونا أحراراً !
عالية : نحن الآن أحرار سجناء ! ! . . . على كل حال
هنا أرحم من سجننا الضيق في جوف الجبل ! . . .
بدأت الرياح الشديدة تهبّ عليهم وهم في العراء ،
فدخلوا المعبد ليحتموا فيه . وأخرج « عارف » بطاريتيه ،
وسار أمامهم ، يتجولون في قاعاته وغرفه وطرقاته .
وأخيراً استقر بهم المقام في حجرة مفروشة بالسجاد ،
وتتناثر في جوانبها الوسائد الجلدية الملوّنة . وقال « نمرود » :
هذه حجرة مناسبة لنبيت فيها ليلتنا . . . وهنا سوف تسهل
علينا حراستكم ! . . .
سمارة : وفي النهار سوف نستكشف باقي الحجرات ! . . .

الخدعة البارعة !



سحارة

كانت الدموع تترقق
في عيني «عالية» ، وهي
تتساءل عن مصير أخيها
«عامر» .. و«بونجو»
الشجاع المخلص الأمين ..
وخالتها الحبيب
«ممدوح» !.. إذ كيف لها
أن تعلم أن ثلاثتهم

كانوا في هذه اللحظة معاً .. وعلى مقربة منها ! ! .. إن
ذلك لم يكن يجول بخاطر أحد منهم على الإطلاق ! ..
سار الثلاثة في هدوء ، وعلى غير هدى ، يضربون في
أرجاء وطرقات الجبل . وكانوا كلما دخلوا حجرة ، وجدوها
خالية ! وهو الأمر الذي أدهشهم ، وأثار شكهم ! ولكنهم
لم يكونوا يعلمون أن القبيلة بأسرها صعدت إلى القمة . .

ارتحموا على الوسائد يتشاورون في أمرهم ، وما وصلت إليه
حاطمهم . فقال «عارف» : حتى الآن .. نحن هنا في
أمان ! ..

فقاطعته «عالية» والدموع تترقق في عينيها : نحن في
أمان ! ! .. ولكن ماذا عن «عامر» و«بونجو» ؟ ! ..
هل هما أيضاً في أمان ؟ ! .. ونخالنا «ممدوح» ! ! .. أين
هو ؟ وهل هو حيٌّ برزق ؟ ! ! ..



لتتعبد إلى الشمس ! .. وأنها اصطحبت أسراها معها إلى

السجن الكبير !

وفي حجرة صغيرة منحوتة في الصخر، اكتشف

« عامر » اكتشافاً عجبياً ! .. ما كاد يراه ، حتى اتسعت

حدقاته من الدهشة والعجب ! .. فلفت إليه نظر

« ممدوح » ، وقال : انظر يا خالي ! .. ربما هذا يفسر لنا

الكثير ! ! !

تناول « عامر » آنية موضوعة على مائدة في ركن من

الحجرة . وكانت هذه الآنية مملوءة بمسحوق أحمر ، وأخرى

بها معجون أصفر في لون الذهب ! ! ! وقال : هذا هو

المعجون الذي يطلون به جلودهم السوداء ، حتى تصير في

لون ضوء الشمس الأصفر عند الشروق ! ! ! وهذا هو

المسحوق الذي يصبغون به شعورهم ولحاهم ، حتى تبدو

كضوء الشمس الأحمر المتوهج عند غروبها ! ! !

ممدوح : الآن انجلي السرّ أمامنا ! .. لا عجب إذن في

أنهم يظهرون بهذا الشكل الغريب المخيف الذي يختلف عن

البشر أجمعين !

وكان « بونجو » يستمع إلى هذا الحديث ، وهو

مندهش ! . ولكن ما لبث أن علا البشر وجهه الأسود ،

وقال : إذن هم مثلي .. سود البشرة والشعر ! ! يالهم من

ماكرين غشاشين ! .. لن أخاف منهم بعد الآن ..

وقال « عامر » وهو يضع في جيبه آيتين من هذه

الأصباغ : سأحتفظ بهما كتذكّار ، إلى أن نصل إلى منزلنا في

القاهرة ! ! !

فقال « ممدوح » وكأنه يحدث نفسه : هذا إذا كنا سنصل

إلى منازلنا ! .. هيا بنا .. وعلينا بالحذر وإلّا ضعنا في هذه

المناهة !

تابعوا السير وهم يتصنّتون على كل باب في طريقهم

الصاعد إلى القمة . وعند باب كبير مرصّع بالحجارة الصفراء

البرّاقة ، سمعوا صوت نقاش وجدال عنيف يجري في

الداخل .

وعندما وضع « بونجو » أذنه على الباب ، ظهر الخوف

فقال « ممدوح » في استسلام : هذه هي النهاية ! . لقد
وقعنا في أيديهم ، ولا سبيل أمامنا إلى الفرار ! لا بدّ أنهم
اكتشفوا اختفائي ! .. فهرعوا للبحث عني !

أحاط بهم الرجال من كل جانب ، وهم ينظرون إلى
« عامر » و « بونجو » باستغراب وهلع ! إنهم يعرفون
« ممدوح » حق المعرفة ! ولكن هذان العفريتان ! ! من
هما ؟ وكيف اقتحما عليهم موطنهم المنيع ؟ ! ..

وبالرغم من أن « ممدوح » كان لا يزال يحمل مسدسه ،
فإنه استسلم دون مقاومة ، خوفاً على حياة « عامر » وزميله
الصبيّ الأسود من حراهم المسنونة المصوبة إلى صدورهم !
اقتادوهم في الطريق الطويل الصاعد . وعندما وصلوا
إلى الباب العالي الضخم المؤدى إلى القمة ، كان الفجر قد
لاح ! وكم كانت دهشتهم عندما فُتح الباب ، وأطلوا على
القمة الواسعة ، فقال « ممدوح » : هذه القمة تصلح
مطاراً ! ..

وكان « عامر » مشغولاً عنه ، يجول ببصره في كل مكان

واضحاً على وجهه ، ونظر إليها وهو يرتعد ، وقال : يقولون
إن إلهتهم الشمس غاضبة عليهم ! ! وإنما تطالبهم
بضحية ! ! وإلا أحرقت الجبل .. ومنعت عنهم
الأمطار ! ! .. وأنهم سوف يختارون واحداً من بيننا ،
يقدمونه قرباناً للشمس ! ! ..

صمت « ممدوح » طويلاً ، إلى أن قال : هذا ما كنت
أخشاه ! ! واحد منا سوف يلقونه من فوق القمة ! يجب أن
نلحق بإخوتك ومن معهم ، لنحذرهم بأسرع ما يمكن ،
وقبل فوات الأوان ! مها تعرضنا له من خطر . . وحتى
لو كلفنا ذلك حياتنا ! !

ولكن ما كاد الثلاثة يخطون خطوة واحدة . . حتى وقع
المحذور ! ..

فقد سمعوا جلبة عالية ، وأصوات وقع أقدام وهي تدبّ
مسرعة على الأرض الصخرية . ورأوا أفواجاً من رجال
القبيلة يجرون نحوهم من كل اتجاه ! ..

بحثاً عن إخوته . ولكنه لم ير شيئاً ينم عن وجودهم فقد كان
المغامرون داخل المعبد ، يتجولون في أنحاءه يشاهدون ما فيه
من عجائب وغرائب ، بعد أن استيقظوا في الصباح الباكر .
وكانت « عالية » هي أول من وقع بصرها عليهم ، وهي
تعبّر طريقة في مواجهة مدخل المعبد . لم تصدق عينيها في بادئ
الأمر . . هل هذا هو خالها « ممدوح » حقيقة ؟ نعم . . إنه هو
بعينه ، يقف مع « عامر » و « بونجو » ! . . يالها من مفاجأة
مذهلة أن ترى الثلاثة معاً ! . .

فصرخت وهي تقفز من الفرع : خالى . . خالى . .
« عامر » . . « بونجو » . . نحن هنا ! . .

اندفع الجميع نحوهم على سلام المعبد وهم يتصايحون .
وكان لقاءً حاراً ، تبودلت فيه الأحضان والقبلات ، بين
المغامرين وبين خالهم « ممدوح » وأخيهم « عامر » . حتى
« بونجو » كان له نصيب وافر من هذه الأحضان ! . .

وبعد أن هدأت نفوسهم من حرارة اللقاء ، قال

« ممدوح » : هل ستظل هكذا أسرى في أيديهم حتى يجهزوا
علينا ؟ لا بدّ من التفكير . في وسيلة للهت !

عارف : الطريقة الوحيدة هي . . قلب « نمروذ »
و « سلمان » على هؤلاء الرجال ، ثم الفرار والعودة إلينا
بالنجدة ! فهنا مسلحان ، وعلى قوة بدنية خارقة . .

نمروذ : على كل حال لا بأس من المحاولة . مادامت هي
الوسيلة الوحيدة . ولو أنى أعتقد في جدواها ! . .

وفجأة صاح « عامر » : لقد خطرت لي فكرة ! ! . .
وأخرج « عامر » علبتي المعجون والأصباغ من جيبه ،

وقال : هذه ! ! . . هذه هي الوسيلة الوحيدة أمامنا
للفرار ! . . سنظلي أبدانها باللون الذهبي . . وشعورهما

بالصبغة الحمراء ! فيبداون وكأنهما من رجال القبيلة ! . .
ولن يتعرف عليهما أحد ! . .

عارف : ويمكنهما أن يرتديا بعض الملابس الفضفاضة مما
في المعبد . . وهي كثيرة ! . .

عامر : وعند خروج رجال القبيلة بعد صلاة الصباح ،

يندسان وسطهم .. وعليها بعد ذلك أن يتصرفا !! ..
سمارة : هذه فكرة جهنمية .. وياحبذا لو كان في
مقدورنا أن نخذو حذوهما .. ونفّر معها ! ..
دخل الجميع المعبد ، حيث تولّى « ممدوح » و « عامر »
عملية الطلاء والصباغة في سرعة ومهارة فائقة ، في حين
انهمكت « عالية » في انتقاء الثياب الملائمة لها من حجرة
الملابس بالمعبد .
وبعد أن انتهوا من عملهم ، ألقى « ممدوح » عليها نظرة
فاحصة ، فبدأ الارتياح على وجهه ، وقال : عظيم ! ..
لقد قننا بعمل رائع مبتقن ! .. لا شيء يميّز بينها وبين رجال
القبيلة ! .. سوف تنظلي عليهم الخدعة ! ..
عامر : والآن حان الوقت لأفراد القبيلة لدخول
الساحة .. فالشمس على وشك الشروق .. وعليك
يا « نمرود » أن تختفي مع « سلمان » وراء هذه الأعمدة
الضخمة ، وتندسّان وسطهم عند الخروج بعد الانتهاء من
الصلاة ! ..

عارف : وأعتقد أنه من الحكمة أن نخفي بنادقها في مكان
أمين بالمعبد ! .. فهما لن يحتاجا إليها .. وربما احتجناهما نحن
فيما بعد ! ..
وعند ظهور أولى أشعة الشمس ، فُتحت البوابة على
مصراعيها ، ودخل منها موكب المصلين الرهيب ، وهم
يترنمون بالأناشيد والتراتيل الحزينة ..
صعد الزعيم إلى برج المعبد العالى في حين تفرّق الرجال
والنساء والأطفال على أرض القمة الواسعة ثم شرعوا في أداء
بعض الطقوس الغريبة ! ..
أما المغامرون فكانوا ينظرون إليهم ساهمين من بعيد ،
وكل منهم يقف على انفراد في أماكن متفرقة ، حتى لا يتنبه
الرجال إلى غياب « نمرود » و « سلمان » ، اللذين كانا يختفيان
وراء عمودين . كانا يتحينان الفرصة المواتية للانضمام إلى
الموكب في خروجه من الساحة ! ..
وبعد أن انتهت مراسم الصلاة ، نزل الزعيم من البرج ،
ليقود الموكب الكبير .. الذى كان يتذيّله « نمرود »



قال ممدوح في استسلام : لقد وقعنا في أيديهم ولا سبيل أمامنا إلى الفرار !

و«سلمان» ، بعد أن خرجا من مخبئها ، وانضمّا إليه دون أن يشكّ فيهما أحد ! . . . كانا كأى واحد منهم ، دون أى فرق أو تمييز !

وكان المغامرون يتصاحكون عليهما ، وهما يحاكيان حركاتهم وإشاراتهم العجيبة ، ويرنمان بالتراتيل المائلة ! . . . يالها من ممثلين بارعين ! ! . . .

تجمّع المغامرون في المعبد ، بعد أن اختفى «نمرود» و«سلمان» عن الأنظار ، وقُفل وراءهما الباب ببطء .

وكان «خالد» يشعر بالحزن والقلق على فراقهما ، فقال :
لقد ذهبنا . . . أدعو الله ألا يُقبض عليهما ، أو يصيبهما مكروه ! . . . إنهما لن يُعوضا ! . . . وهما أملنا الوحيد في النجاة !

مضى يومان دون أن يحدث ما يوجب القلق . فكان أفراد القبيلة يظهرون كالعادة ، مرة عند شروق الشمس ، وأخرى عند غروبها . كما كان بعض الحرس الأشداء يأتون لهم بالماء

والطعام مرة كل يوم ..

ومن الغريب أن أحداً من الحرس لم يتنبه إلى غياب
« نمرود » و « سلمان » ! .. ففضلاً عن أن المغامرین كانوا
يتفرقون عن عمد داخل المعبد ، وفي أنحاء الساحة الشاسعة ،
فإن أحدا لم يسبق له أن هرب من فوق هذه القمة ! ! هذا
ما كانوا يعتقدونه ! .. إن الهرب مستحيل ..
مستحيل ! ..

وهكذا مضى اليومان عليهم بسلام ، دون خطر ! ..
ولكن .. ما لبثت الحوادث أن توالى عليهم فجأة في
اليوم الثالث ! ..



ابتدأت الحوادث عندما
دخل زعيم القبيلة إلى
الساحة ، وذهب إلى برج
المعبد العالى . وبعد صلاة
قصيرة ، كان يحدق فيها إلى
قرص الشمس بعينين كعيني
النسر ، التفت إلى أتباعه ،
وأصدر إليهم أمراً عاجلاً .



فتوجهوا على أثره إلى المغامرين ، وأحاطوا بهم من كل جانب
كالحلقة المستحكمة . ثم ذهبوا بهم إلى أسفل البرج حيث
وقف الزعيم يطلّ عليهم . . .

كان يتنقل بنظراته المفترسة بينهم واحداً بعد الآخر . ثم
ظهرت على وجهه فجأة علامات الحيرة والدهشة ! . . . لقد
وضح له أن اثنين ينقصان من مجموعة أسراه ! . . .

وكان أن صرخ في أتباعه بصوت تردد صداه بعيداً بين
قمم الجبال . فتفرقوا في الساحة ، ودخلوا المعبد ، يبحثون في
لحفة كمن يبحث عن كثر ضائع ! . . .

فهمست « عالية » : إنهم يبحثون عن « نمروذ »
و « سلمان » ! . . .

عامر : ليبحثوا كيفما شاءوا . . . فلن يعثروا عليهما
هنا ! . . .

ظهرت علامات الغضب على وجه الزعيم ، واحمرت
عيناه من الغيظ ، بعد أن أسفر البحث عن اختفائهما ! . . .
لقد تبخر الاثنان في الهواء ، وكأن الأرض انشقت
وابتلعتها ! ! ! . . .

كان الزعيم يرتجف حنقاً ، وهو يحدث أتباعه طويلاً
بلهجة جادة . ولما انتهى من خطابه ، انبطح الجميع أرضاً
على وجوههم ! . . .

ماذا قال لهم ؟ ! . . . إن أحداً منهم لم يفهم شيئاً مما قاله .
بطبيعة الحال ! . . .

أما « بونجو » فكانت أوصاله ترتعد من الخوف ! فقد فهم ووعى كل كلمة من خطابه الطويل ! ..

هبط الزعيم من البرج العالى ، وأخذ يتجول بين المغامرين ، وهو يتفّرس ملياً فى وجوههم . وكانوا يقفون أمامه فى جرأة وشجاعة ، لا يهتر لهم طرف ! ..

إلا « بونجو » المسكين ! لأنه كان على بينة مما انتواه لهم هذا الرجل الشرير الخيف ! ..

والحقيقة المفجعة ، هى أن الزعيم كان يختار من بينهم ضحية ، يقدمها قرباناً للإلهة الشمس ! ! ..

كان ينظر إلى « عالية » بإمعان ! .. ثم انتقل منها إلى « ممدوح » وبقى المغامرين ! إلى أن حطَّ بصره فى النهاية على « خالد » ! ! .. وظهرت على محيَّاه علامات الرضا والارتياح ! ! ..

مدَّ الزعيم يده وأمسك بذراع « خالد » ، ونادى على أتباعه . فهجموا عليه وانزعوه بقسوة من بينهم ، وحملوه بعيداً .

ومع أن « خالد » كان يجهل إلى أين يذهبون به ، أو ما هو مصيره ، فإنه كان يحرص على عدم إظهار الخوف ، وإبداء الشجاعة مهما كانت الظروف ! ..

سار الرجال وهم يحيطون « بخالد » إلى البوابة الواسعة ، واختفوا به فى جوف الجبل . وذهب الزعيم إلى برجه العالى ، وحدّق فى الشمس ، وأخذ يرتل لها أناشيده الحزينة !

جلس المغامرون يستمعون إلى « بونجو » وهو يشرح لهم مأساة « خالد » . وأن الاختيار قد وقع عليه ليكون أول الضحايا التى سيقدمونها إلى الشمس ! وكانت « عالية » تستمع إليه ، والدموع تتساقط من عينيها مدراراً . . .

فقال « ممدوح » : لا أدرى كيف ستمكن من إنقاذ « خالد » المسكين ؟ ! .. نحن فى ورطة لا مخرج منها ! !

طال بهم الانتظار وهم يبحثون فى إيجاد مخرج من هذه الورطة العويصة ! وكان « ممدوح » يضع رأسه بين كفيّيه ، ويحدث نفسه قائلاً : لقد اختلطت على الأمور . . . حتى الأيام والتواريخ لم أعد أعرفها . .

لم يحضر أحد من القبيلة الصفراء هذه الليلة إلى القمة !
ومسكين « خالد » ! ماذا حدث له ؟ إنهم لم يسمعوا عنه منذ
أن اختفى في جوف الجبل ! ..

فقال « ممدوح » : لا بد أن سيباً هاماً منعهم من الحضور
هذه الليلة ! .. ماذا يكون ؟

عارف : أعتقد أنهم انطلقوا وراء « نمروذ » و « سلمان »
للبحث عنها في الغابات والأدغال . . .

سمارة : هذا إذا كانا خرجا سالمين من الجبل ! ! ..
عالية : أتعشم أن يكونا قد أفلتا . . وأن يأتيا لنا بالنجدة
سريعاً . . .

دخلوا المعبد ليقتضوا فيه ليلتهم ، بعد أن يشؤوا من
حضور الزعيم وأتباعه . ولكن الأرق أصابهم ، فجافاهم
النوم . كانوا في أشد اللهفة والقلق على « خالد » . . وانتابهم
جميعاً حالة من اليأس على مصيره فمن المستحيل إنقاذه إلا
إذا حدثت معجزة . .

وعندما طلع الفجر ، دخل الزعيم الساحة ، مع نخبة من

عمالقته الأشداء . وكانوا يحيطون بصبي . يرقل في ملابس
فاخرة ملونة ، أصفر الوجه ، أحمر الشعر ، وفوق رأسه تاج
من الذهب الخالص ، مصنوع على شكل قرص الشمس
وهي تنشر أشعتها على الكون ! ..

ولكن ما كادت « عالية » تلمح الصبي ، حتى
صاحت : انظروا . . هذا هو « خالد » . . بالكاد عرفته في
هذه الملابس . . والشمس تتوج رأسه ! ! .. وبوجهه
الأصفر ، وشعره الأحمر ! ! لقد صبغه هؤلاء
الأشقياء ! ..

كان منظر « خالد » رائعاً بلباسه الزاهي ، وتاجه البراق .
كان يشعر بالخوف ، إذ كان يدرك مصيره المؤلم . ولكنه مع
ذلك أصر على أن يبدو أمام أصدقائه المغامرين ، بمظهر
الشجاع الذي لا يهاب ! فابتسم لهم ملوحاً ، وهو يخطو
أمامهم بهدوء وثبات . . .

وعندما وصل الزعيم في مواجهتهم ، تقدم منه « ممدوح »
واعترض طريقه ، وصاح فيه : قف ! .. إياك أن

تتحرك ! ! . . .

ارتبك الزعيم للحظة ، وتعجب من جرأة هذا الرجل الذي يعترض طريقه ! . . . وإن كان لم يفهم كلمة واحدة من هذه الرطانة الغريبة عليه . . .

أشار « ممدوح » إلى « بونجو » أن يلحق به ، وتابع حديثه قائلاً : قل للزعيم أريد أن أحل محل هذا الصبي وأقدم ضحية للآلهة بدلاً منه . . .

نقل « بونجو » ما قاله « ممدوح » إلى الزعيم بلغته . وما إن سمع منه هذا القول ، حتى عبس ، وبدا الشر في عينيه الضيقتين ، وأخذ يهذي بكلمات لم يفهمها إلا « بونجو » ! . . .

قال « بونجو » : إن الزعيم مُصرّ على « خالد » وهو الذي يختار ولا يمكن لأحد أن يتدخل في الأمر .

قال « ممدوح » : ليس أمامنا فرصة لإنقاذ « خالد » . . . ترى ما العمل ؟ لقد تأخر « نمرود » و « سلمان » . . . هل مازالا على قيد الحياة . . . وأكمل حديثاً طويلاً بينه وبين نفسه لكيلا

يسمعه « عالية » و « عامر » ويزيدهما همًا وكم شعوره في نفسه . . .

وصمت الجميع في انتظار ما يجيئه لهم القدر . . .



لم يُسمح لأحد بدخول
المعبد هذه الليلة ، ووقف
الحرس بحرايهم الطويلة
يسدّون مداخله . وفي انتظار
ساعة الصفر كان المغامرون
يشاهدون في الساحة عجباً ،
حتى كادوا يفقدون
أعصابهم ! ..



زعيم القبيلة الصفراء

فن رقصات بدائية .. إلى طقوس همجية .. إلى صراخ
وحشى بلغ عنانه السماء ، استمر حتى الصباح ..
وأخيراً غلبهم النعاس ، فاناموا في العراء أما « ممدوح »
فظل على يقظته ليحميهم ، وأصبعه ، على زناد مسدسه ،
وليراقب ما حوله في دقة ..
وفي الساعة الحادية عشرة صباحاً ، أيقظ « ممدوح »

المغامرين ، عندما رأى البوابة تُفتح ، ويدخل منها جمع
غفير من رجال القبيلة ونسائها وأطفالها . كانوا يرتدون أبهى
ما عندهم من لباس وزينة . كما كانت أبدانهم وشعورهم
حديثه الطلاء ، تلمع تحت أشعة الشمس القوية ..
إنهم يحتفون اليوم بمناسبة سعيدة ، يكرسونها لإرضاء
معبودتهم الشمس ، لعلها ترضى عنهم ! ! ..
وعلى حين فجأة دوى هزيم الطبول كالرعد ! وكان ذلك
إيداناً ببدء الاحتفال بتقديم القران إلى إلهتهم الشمس !
فهبط الزعيم بضجة « خالد » ، ووقف معه على منصة
حجرية تقع بالقرب من جرف الجبل ! إنهم سوف يقدفون
بالمسكين « خالد » من فوقها إلى أسفل الجبل ! ..
كانت الرهبة تملك المغامرين وهم يشاهدون هذه
المراسم والطقوس العجيبة .. و« بونجو » يرتعش كريحته في
مهبط الرياح .. و« ممدوح » ينظر في ساعته انتظاراً للحلول
ساعة الصفر ! ..
وفي طرفة عين ، جرى « ممدوح » بكل قوته ، حتى

وصل أمام المنصة ، حتى أن الحرس أخذوا على غرة ، ولم يتمكنوا من صدّه ..

ولكن حدث في هذه اللحظة شيء غريب ! توقف المهاجمون على أثره في أماكنهم ! .. فقد وجدوا أنفسهم محاطين بعدد هائل من قوات الأمن السودانية وحرس الحدود ..

ساد الصمت العميق ، بعد أن صُعبق أفراد القبيلة ، وتجمدوا في أماكنهم ..

وكانت فرحة المغامرين « وممدوح » لا تقدر .. واقتربوا من « خالد » وأخذوه بعيداً وهو مذهول لما يحدث .. وتركوا أمر هذه القبيلة للجهات المختصة وقالت « عالية » بفرحة غامرة : كم كنت شجاعاً يا « خالد » .. إننا فخورون بك ..

سحارة : لقد ميزناك من وسطهم ، بالرغم من بشرتك الصفراء .. وشعرك الأحمر .. وتاج الشمس على رأسك .. وهذه الملابس الفاخرة المزخرفة ..

خالد : هذه تذكارات ثمينة ، سأحتفظ بها مدى الحياة .. إثباتاً لما جرى لي ! ..

لم يتمكن أفراد القبيلة من الصمود أمام هذه القوات ، ففرّوا هاربين مذعورين وراء زعيمهم الذي أطلق ساقه للريح ! ..

هدأت نفس المغامرين قليلاً ثم قال « خالد » : ماذا نتظر .. هيا بنا نخرج من هذا المكان عالية : انتظر قليلاً ، حتى نحصل من المعبد على بعض التذكارات !

ساروا في طريق الخروج ، وكل منهم يحمل على كتفه شيئاً مما حصلوا عليه .. وبعد أن تحدث « ممدوح » مع بعض رجال الأمن .. واصطحبهم بعض الجنود إلى حيث كانت طائرة هليكوبتر في انتظارهم . وهناك أمام البوابة كانت المفاجأة الكبرى ! .. وقبل أن يصعدوا إلى الطائرة وجدوا « نمرود » و « سلمان » أمامهم فقد نجحا في الفرار .. وهما في طريقهما إلى خارج منطقة القبيلة الصفراء عثرت عليهما

قوات الأمن وهى فى طريقها إلى الوصول للقبيلة الصفراء
لتنجى المغامرين وخالهم « ممدوح » من أيديهم . . . وساعدهم
« نمرود » و« سلمان » فى الوصول إليهم فأرشدوهم إلى الطريق
وقبل إقلاع الطائرة ، تقدم « بونجو » من « عامر » وقلده
تعويذته الغالية ، وهو يقول له : هذه كل ما أملك . . سوف
تحفظك أنياب التماسيح من كل سوء ! . .

وفى طريقهم إلى « الخرطوم » . قصّ عليهم « نمرود »
مغامرة هربه من الجبل الأصفر مع « سلمان » ، فقال : كان
فرارنا من الجبل سهلاً ! . . فبعد أن انضممنا إلى رجال
القبيلة فوق القمة ، كنا نلزم المؤخرة دائماً ، تفادياً من
الحديث معهم واكتشافهم لحقيقتنا ! . . ثم تخلفنا عنهم فى
طرفة مظلمة ، وانتظرنا طويلاً ، حتى رأينا جماعة منهم تحمل
الحراب ، وفهمت من حديثهم أنهم خارجون إلى الصيد فى
الغابة ! . . فلحقنا بمؤخرتهم كالعادة ، وخرجنا معهم ،
دون أن يتنبه أحد إلينا ! . . وذهبوا هم إلى الصيد . . ولكن

كم من الأهوال والمخاطر لاقيناها فى اختراق الغابة ، ونحن
عزّل من السلاح ! . . ولكن الله كان معنا . . .
ولما انتهى « نمرود » من قصّته ، انهك المغامرون فى
إزالة الطلاء الأصفر عن بشرة « خالد » . وكان يستسلم إليهم
فى صبر وأناة ، حتى نجحوا أخيراً فى إعادته إلى لونه الخمرى
الجميل ! أما شعره فقد استعصت عليهم صبغته الثابتة
الحمراء الملتببة ! . .

فقال « خالد » : وما العمل الآن ؟ ! . .
فردّت عليه « عالية » وهى تضحك : لا بأس . .
سنحلّقها لك بالموسى عند وصولنا إلى القاهرة . . ونحتفظ
بشعرك الأحمر تذكّاراً لهذه المغامرة الرهيبة النادرة ! . .





مرجان

عارف

عالية

عامر

لغز القبيلة الصفراء !

سافر المغامرون الثلاثة : عامر ، و عارف ،
و عالية ، والصديقان « سمارة » والأمير خالد ،
السعودي ، إلى الأدغال والغابات السوداء في أواسط
أفريقيا ، لإنقاذ عائلهم العقيد «مدوح» !
* فما الذي حدث ؟

وكيف دخلوا جوف الجبل الأصفر المنيع ؟ ومن
هم عبدة الشمس ذوو البشرة الصفراء والشعور
الحمراء ؟

هذا ما ستعرفه عند قراءة هذا اللغز المثير !



دارالمعارف